الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها — نسيب عريضه

مدير اعمالها — راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة، وثلاثة ريالات عن نصف سنة . وريال ونصف عن ثلاثة أشهر . ونصف ريال عن شهر واحد . والدفع سلفاً .

AL-FUNOON

55 BROADWAY

NEW YORK

الجزء السابع — كانون الاول سنة ١٩١٦ — السنة الثانية

هدايا عيد الميلاد

الهدايا الادبية من افضل الهدايا واحسنها منزلة في عيون المهدين والمهدى اليهم ٠ وقد درى ذلك شعبنا السوري فتكرم فريق منهم باهداء الفنون بمناسبة عيد الميلاد الشريف ٠ وهوذا اسماء المهدين والمهدى اليهم ننشرها اعترافاً بكرمهم واذاعة لفضلهم مع حفظ الالقاب

(اهديت الفنون لسنة)

من جورج يارد صاحب جريدة السهام في مناوس البرازيل — الى الانسة نظيرة صوفان في مونتريا كولومبيا

من شكري يوسف غصن في نيويورك — الى السيدة ادال غصن في وودهافن نيويورك

من مسز سليم كساب في مونتريال كندا — الى الانسة سلمى كساب في المدينة نفسها ٠

من بهيج عريضه في نيويورك — الى شوقي عريضه في بوينس آيرس الارجنتين ٠

من فيليب خولي في بردجبورت كناكتكت — الى سليم نصر في پاسيك نيوجرزي ٠

من خليل حبيب رحال في واتربري كناكتكت — الى سليمان حبيب رحال في دترويت مشيغن ٠

من يوسف صليبا — الى قبلان صليبا في انديانا بوليس انديانا

من السيدة نبيهة دبس في غراندفولز كندا — الى شاكر شاكر في سوث فرامنهام — ماس

من نعمه الحاج في سبارتنبرغ سوث كارولينا — الى مسز بولس سمعان البحري فيها ٠

من ليان شكور في وستر ماس — الى الخوري نقولا شكور في سان باولو البرازيل ٠

من يعقوب جبور في دترويت مشيغن — الى فارس مخائيل في المدينة نفسها

من جميل يوسف ترك في غرينسبرغ بنسلفانيا — الى توفيق متري خماسميه في سان باولو برازيل

من السيدة هيلانه عقيلة مخائيل الياس بطرس — الى الانسة ساره جرجي موسى في سنسناتي اوهايو

من خليل طنوس صهيون في ضن نورث كارولينا — الى يوسف روفائيل ابي يونس في غرينفيل نورث كارولينا

من اسعد جرجس نادر في وست نيوتن بنسلفانيا الى الياس تيموتي في البلدة عينها ·

—(لنصف سنة)—

من يوسف عيسى يعقوب في تورنتن كنا كتكت ا— الى اديب بشاره كرم في بتسفيلد ماس ·

—(المباراة الادبية)—

حازت الاكثرية في التصويت الشهري لعدد تشرين الاول مقالة « مات اهلي » لجبران خليل جبران · وتلاها في السبق مقالة « مهرجان الموت » لميخائيل نعيمه · وحازت الاكثرية في الشعر قصيدة « يا دار » لرشيد ايوب

لا تنسَ ان تصوت كل شهر للحكم في جوائز الفنون

لا نزال بحاجة الى الاعداد الاربعة الاولى من الفنون ، فمن كان بغنى عنها فليتكرم بارسالها الينا فنسديه الشكر ونقدم له ثمنها نقداً او كتباً

اطلب « الايوبيات » ديوان رشيد ايوب من موءلفه وثمنه ريال واحد
العنوان الى هذه الادارة

المباراة الادبية
وجوائز الفنون

ابتدأت المباراة الادبية عَلَى صفحات الفنون بعدد ايلول الماضي وستنتهي بعدد آب سنة ١٩١٧ ، فينال جوائزها ثلاثة من الادباء

الجائزة الاولى — مائة ريال — لصاحب المقالة الاولى في الفوز

الجائزة الثانية — ٥٠ ريالاً — لصاحب المقالة الثانية في الفوز

الجائزة الثالثة — ٢٥ ريالاً — لصاحب القصيدة الفائزة

(الحكم بالجوائز) حين يصل عدد الفنون الى المشتركين يستطيع كل منهم بعد قرائته ان ينتخب منه المقالة التي تعجبه والقصيدة التي تنال استحسانه فيصوّت لها ويرسل حكمه الى ادارة المجلة كل شهر بشرط ان يكون دافعاً بدل الاشتراك سواء كان شهرياً او سنوياً فلما تنتهي الاصوات الى الادارة تعلن اسم الفائز بموجبها في العدد الذي يلي التالي · ومتى انتهت السنة تعيد الفنون نشر اسماء الفائزين في التصويت الشهري ويصير انتخاب ثلاثة منهم لتدفع اليهم الجوائز ·

(شروط المباراة) لكي يصح الحكم بالجائزة لاية مقالة او قصيدة يجب ان تكون مبتكرة غير منقولة عن لغة اجنبية او منشورة سابقاً ، وان تصل الى الادارة تباعاً بأسرع ما يمكن وميعاد آخر ما يقبل منها ١ تموز سنة ١٩١٧ · وللادارة الحق ان ترفض نشر ما لا تراه صالحاً للنشر ·

لا تنسَ ان تعطي صوتك كل شهر لمن تستحسن كتاباته

الزيتون في كاليفورنيا

ذوقوا واحكموا

ليس من ينكر كثرة الصعوبات التي نصادفها من جراء الحرب الاوربية بانقطاع المواد الغذائية السورية عن هذه البلاد الاميركية · ولما كنا قد اعتدنا في السابق ان نحصل عَلَى كل اصناف السمانة العربية من سوريا لم نعد نبالي بالاهتمام لايجادها هنا مع ما كنا نتحمله من الصعوبات والمصارفات في مسألة الشحن · عَلَى انه وقد حالت الظروف في هذه الايام دون الحصول عَلَى متمنياتنا وسدّت الطرق من كل جانب في وجوهنا فتوهم ابنآء الوطن ان لا لذة تعادل لذة الواردات الوطنية وجدنا غب الامتحانات والاهتمامات التي نجريها دائماً وحباً براحة وخدمة عملائنا الكرام طريقاً لارضائهم فقد ذهب احدنا الى كاليفورنيا حيث اهتمّ بضمانة كروم الزيتون هناك وصرنا نستورده الى محلنا الخاص فنخرج من انواعه زيتوناً اسود ومرصوصاً بزعتر ومن كان في شك فما عليه الا التجربة كما وانه عندنا جميع انواع السمانة السورية وسائر المشروبات الروحية وهذا عنواننا ·

تامر كنعان معلوف وشركاه

T. K. MALOUF & Co.

79 Washington St. New York

صيدلية شركة فلسطين

سنت	
١٥	جربوا الشربة العجيبة للرجال والنساء والاطفال اشتهرت بلذتها وفعلها الغريب
٢٥	« حبوب الدكتور فنديك مسهلة ملينه تزيل وجع الرأس والدوخة
٥٠٠	« حبوب خصوصية لتقوية الاجسام الضعيفة
٢٠٠	« الشربة الهندية للدودة الوحيدة مكفولة
٢٥	« البودرا التي تزيل الشعر من الجسم والمكفولة من كل ضرر
٥٠	« صبغة الشعر الخالية من حجر جهنم والمكفولة انها تعطي الالوان المطلوبة من اي لون شئت
٢٥	« البودرا الشهيرة الخالية من كل غش والتي تستعمل للجنسين « الجنس اللطيف والجنس النشيط » وهي دواء شافٍ لعرق الرجلين

لدينا سائر اصناف الروائح الشهيرة عَلَى تعدادها

لا تتعجبوا بالختام اذا قلنا اكتشفنا دواءً جديداً لنمو الشعر في الراس وتقويته وليس عَلَى الذين يريدون انماء شعرهم الاّ ان يجربوا دواءنا هذا العجيب فيحققوا صدق ما نقول والتجربة خير برهان ·

عندنا دواء مشهور يزيل النمش والكلف من الوجه ·

ومن المرطبات لاجل الصيف جميع المشروبات مع ايس كريم اميركاني وايس كريم سوري مع الفستق ·

مدير الشركة

فلادمير حلبي

PALESTINE DRUG CO.

28 RECTOR STREET NEW YORK

TELEPHONE { 5116 4994 3090 } RECTOR

مركز للبوسطه

– انتظر –

اعلان بطرس كرم وشركاه

PEDRO CARAM & CO.

109 Washington Street

New York

بدران اخوان

والهجوم الروسي

ان روسيا في هذه الحرب العظمى قد برهنت عَلَى قوة واقتدار كانا كامنين في جسمها الواسع وشعبها الامين · ولا غروَ ان امةً أخرجت من احشائها رجالاً عظاماً منهم القواد سوفوروف و كوتوزوف ومنشيكوف وسكوبيليف والغراندوق نقولا وبروسيلوف والفلاسفة تولستوي وسولوفيوف وباكونين والكتبة المتفننين تورغينيف ودوستويفسكي وتشيخوف وغوغل والمصلحين العظام بطرس الاكبر وسبيرانسكي و كاترينا الثانية وغيرهم من المشاهير لهي امة جديرة بان تبدو منها القوة الطاحنة .

ونحن قد اظهرنا في عالم التجارة من الثبات والقوة ما جعلنا ان ندحر اعظم الصعوبات ·وبذلك قد برهنا عَلَى اقتدارنا التجاري كما برهنت روسيا عَلَى اقتدارها الحربي · ونحن مستعدون ان نلبي طلب كل عميل ونرضيه كما ان روسيا مستعدة ان تكتسح بلاد اعداءها ولو بغير رضى · اما بضائعنا المذخورة فهي من قمصان النوم والانفلب شميز والكورست كفر تطريز اليد والوست والكمونا عَلَى اختلاف انواعها والملبوسات النسائية كافة

BADRAN BROS.

78 Greenwich Street New York

محل حداد وعطيه

اذا كنت بحاجة الى ورق للف او خيطان او علب كرتون او اكياس او اي جنس كان من الورق وما يصنع منه · او اذا كنت بحاجة الى ورق مكاتيب ومغلفات ودفاتر وكل لزوم المحلات التجارية خابرنا اولاً ونحن نرضيك بالاسعار والمعاملة والاجناس الجيدة · كل هذه الاصناف موجودة عندنا بكميات كبيرة دائماً ومن كل القياسات ·

كذلك نعلن الذين خارج الولايات المتحدة اننا نشحن الورق الى اي جهة كانت بكميات كبيرة او صغيرة وخصوصاً الى اميركا الوسطى والجنوبية ومصر · اطلبوا الاسعار مع كافة التعليمات ·

HADDAD & ATEYEH

84-86 Washington St., New York City

— مكتبة الشعب في لورنس ماس —

(لصاحبها خليل فارس المنير أنشئت سنة ١٩١٠)

بعونه تعالى وبهمة ابناء الوطن الكرام قد اصبحت مكتبة الشعب عروسة المكاتب العربية الشهيرة في المهجر وهي الان حاوية علىَ جميع اجناس الكتب العربية والانكليزية من تواريخ وروايات غرامية وادبية ودينية وقصص فكاهية وكتب اسلامية علىَ اختلاف انواعها نصرفها باسعار زهيدة ترضي من يريد ان يجرب معاملتنا وعلىَ الله الاتكال ·

K. F. MONAYER

305 Oak St. Lawrence, Mass.

الى تجار اميركا الجنوبية

— محل ميخائيل عريضه في نيويورك —

قد وسع دائرة اشغاله المعروفة واصبح يتعاطى تصدير البضائع الاميركية من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية والوسطى وجزائرها استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية

مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستعلماً — أو مستشيراً — أو طالباً — أو مجرباً ·

ولك الخيار بعد ذلك ان تعامله او تعامل سواه

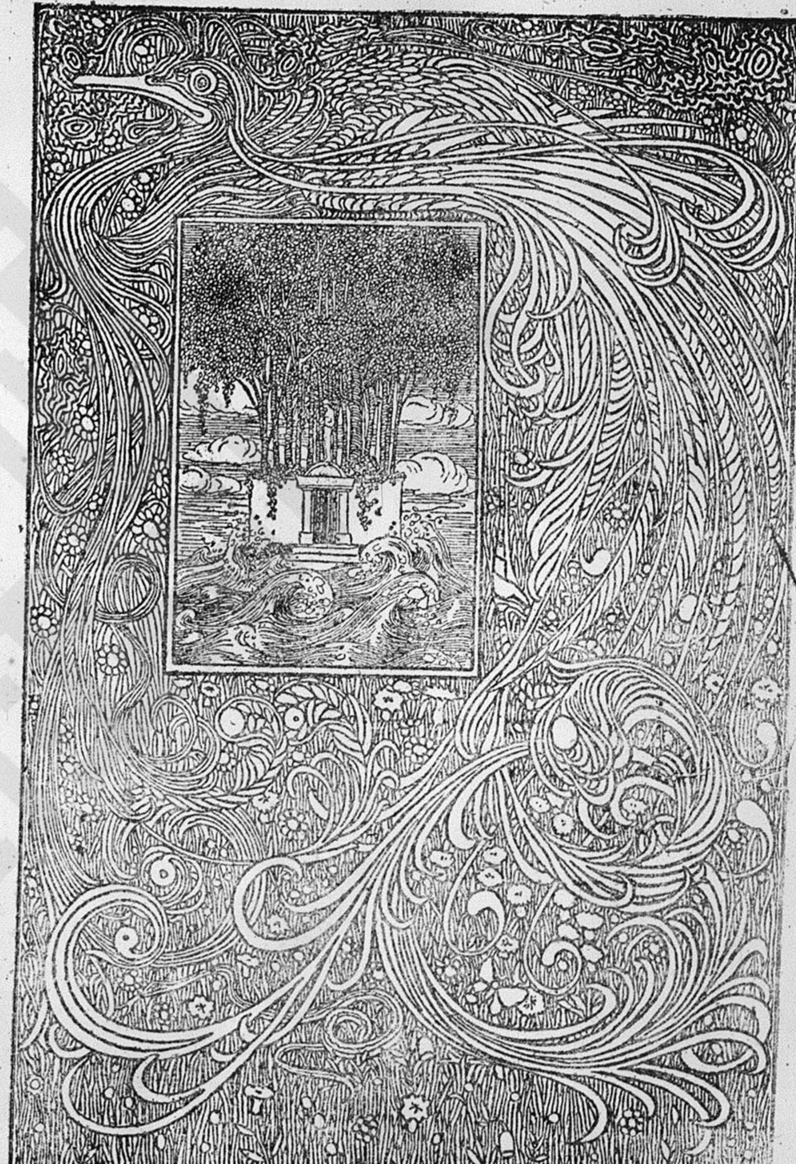
MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street New York

مجلة الفنون

معرض فنون وأدب

تنشر المنتخب من أدب الافرنج والعرب



محتويات الجزء



كوكب بيت لحم
للسير ادوارد بورن جونس

الأم

لمكسيم غوركي

****

هلموا نمجد الامرأة — الأم ، فهي ينبوع تتدفق منه الحياة المتغلبة عَلَى كل شيء ·

الكلام يُساق هنا عن تيمورلنك الفهد الاعرج ، صاحب كيران ، الفاتح السعيد — او تامرلان ، كما يدعوه الكفـار — ذلك الرجل الذي هم بتدمير العالم بأسره

خمسين عاماً أوغل في الارض يدوس البلدان والممالك بقدمه الحديدية فيخربها ، كالفيل اذ يدوس برجله قرية النمل وكانت تجري في اثره انهار حمراء من الدم تتدفق في الجهات · وكان يبني ابراجاً شاهقة من عظام المغلوبين · وكان يدمر الحياة لينازع المنية حق السلطة ، آخذاً منها بالثار ، لانها انشبت براثنها في ابنه جهانغير · يا له من رجل هائل اراد ان يحرم المنية كل ضحاياها لتهلك جوعاً وضجراً ·

ثلاثين عاماً ظلَّ تيمور لا يبتسم · منذ قضى ابنه جهانغير نحبه فخرج اهالي سمرقند عن بكرة ابيهم لملاقاة المنتصر قاهر الجتيين الاشرار لابسين السواد والازرق حداداً وقد ذروا الرماد والتراب عَلَى روءوسهم حزناً — منذ ذلك اليوم حتى الساعة التي واجهته بها المنية في اوترار فتغلبت عليه لم يبتسم

مرة واحدة ، بل كان يعيش مقطب الشفتين لا يحني رأسه لاحد وظل موصداً قلبه دون الحنان ثلاثين عاماً ·

هلموا نمدح الامرأة — الام ، فهي وحدها القوة التي يخضع الموت لها صاغراً — وهنا سنورد قصة حقيقية عن الام ، وكيف خضع لها خادم الموت وعبده تيمور الحديدي آفة الكون ومدميه ·

حدث ذلك كما يأتي — كان تيمور بك منعكفاً عَلَى لهوه في وليمة اقامها بوادي كانيغولا الجميل المسقوف بسحائب الورود والياسمين ، وهو وادٍ يدعوه شعراء سمرقند « غرام الازهار » يرى منه الناظر مآذن المدينة العظيمة وقبب مساجدها الزرقاء ·

ضُربت في ذلك الوادي خمسة عشر الف قبة ، فانبسطت كلها كمروحة مفتوحة ، ولاحت كشقائق نابتة في مرج ، وفوق كل منها مئات من الاعلام الحريرية تميس كالازهار الطبيعية ·

وكانت في وسطها جميعاً خيمة غورغان تيمور كأنها الملكة بين وصائفها· وهي خيمة لها جوانب اربعة ، طول كل جانب منها مائة قدم · وعلو الخيمة ثلاثة ارماح · وكان سقفها مرفوعاً عَلَى اثني عشر عاموداً من الذهب ثخن احدها كثخن الانسان · وفي اعلاها قبة زرقاء · والخيمة كلها مصنوعة من شقات حريرية سوداء وصفراء وزرقاء تربطها بالارض خمسمئة من البنود الحمراء لئلا تطير الى الجو · وكان في زواياها الاربع اربعة نسور فضية · وفي وسطها عَلَى مرتفع تحت القبة نسر خامس — هو تيمور غورغان

بعينه — ملك الملوك الذي لا يُقهر ·

وكان مرتدياً ثياباً واسعة من الحرير بلون السماء تزينها من حبوب اللوءلوء لا اكثر ولا اقل من خمسة الاف حبة كبيرة ، وعَلَى رأسه الشائب المريع قبعة بيضاء تزين رأسها المحدد عقيقة تتهادى وتهتز كأنها عين من دم ترمق الكون ·

وكان وجه الاعرج كنصل خنجر عريض قد غطاه الصدأ — صدأ الدماء التي انغمس فيها الوفاً من المرات وكانت عيناه صغيرتين ضيقتين ، ولكنهما تبصران كل شيء ، ولمعانهما يشبه تألق الزمرد — ذلك الحجر الكريم الذي يحبه العرب ويقولون انه يشفي من داء النقطة ، واذناه مزينتين بقرطين من ياقوت سيلان المشبه لونه شفتي غادة حسناء ·

وكان عَلَى الارض ، فوق طنافس لا تجد مثلها اليوم ثلاثمئة ابريق من الذهب قد صُفت مترعة خمراً وبازائها كل ما يلزم لوليمة الملوك · وكان الموسيقيون وقوفاً وراء تيمورلنك ، وانسباوءه والمقربون اليه من ملوك وامراء وقواد جلوساً عند قدميه ، أما بجانبه فلم يكن احد

وكان ادنى الناس اليه مجلساً الشاعر كرماني وهو يهتز سكراً · وهو ذلك الشاعر الذي قال له مدمر الارض ذات يوم

— كم تدفع ، يا كرماني ، فيَّ لو عُرضت للبيع في السوق ؟ فاجابه عَلَى الفور

— خمسة وعشرين عسكرياً ·

فصاح به تيمور متعجباً — ولكن ألا تدري ان هذا ثمن منطقتي فقط ؟

فاجابه كرماني

— انا لم أفكر الا بمنطقتك ، فانت نفسك لا تسوى بارة ·

هذا ما قاله الشاعر كرماني لملك الملوك ، رجل الشر والهول · فلهذا أعلوا مجد الشاعر صديق الحقيقة فوق مجد تيمور أبداً ·

ألا فلنمجد الشعراء الذين لهم اله واحد — هو كلمة حقٍ جميلة تقال دون خوف ابداً ·

في تلك الساعة لما كان القوم في لهوهم وقصفهم غارقين يترنمون بذكرى وقائعهم وانتصاراتهم ، وقد انغمسوا في ضجة الالحان ولغط الالعاب العمومية الجارية امام خيمة الملك ، حيث كان الاقوياء يتصارعون ، والراقصون عَلَى الحبال يتلوون كأنهم لا عظام لهم ، والفرسان يتجارون في المضمار ويتبارزون بالسيوف في الميدان ؛ متبارين في اتقان فن القتل ، والافيال تستعرض ، وقد صُبغ بعضها باللون الاحمر والبعض الاخر باللون الاخضر فاصبحت هيئاتها من جراء ذلك بين مرعبة ومضحكة — في تلك الساعة — ساعة مرح رجال تيمور السكارى من خوف سيدهم ، ومن الاعجاب بمجده ، ومن عيائهم بعد معارك الفوز ، ومن شرب الخمر والقميشة — في تلك الساعة بينا القوم في حالة شبيهة بالجنون اذا بعويل امرأة قد دوى في الانحاء واتصل باذني قاهر بيازيد مخترقاً عباب الضجيج كما يخترق البرق الغيوم · دوى ذلك الصوت كصرخة نسر متكبر ففهمه تيمورلنك لانه كان قريباً الى نفسه

الكئيبة التي اهانها الموت فاصبحت تقسو عَلَى الناس والحياة ·

فامر ان يُستعلم عن مصدر هذا الهتاف الخالي من البهجة · فقيل له ان امرأة قدمت معفرة بالتراب تكسوها اطمار بالية وتظهر كفاقدة رشدها ١٠ وهي تتكلم بالعربية وتتطلب بسلطان — بلى بسلطان ان ترى تيمورلنك سيد اقاليم الارض الثلاثة ·

فقال تيمور

— ائتوا بها !

فمثلت امامه امرأة حافية تسترها ثياب بالية غيرت الشمس ألوانها ، وقد انحلت غدائرها السوداء فغطت صدرها العاري · وجهها نحاسي اللون ، وعيناها تنظران نظرة الآمر ، ويدها القائمة المبسوطة نحو الاعرج لا ترتجف ·

فقالت له سائلة

— أهذا انت الذي غلب السلطان بيازيد ؟

— نعم ، انا هو · لقد قهرت كثيرين ، فكان هو من الجملة · ولم اسأم حتى الان من الظفر · ولكن هل لكِ ما تقولينه عن نفسك ، يا امرأة ؟

فقالت — ألا اسمع ! مهما صنعت فلست سوى انسان ، اما انا فأم · انت تخدم الموت ، اما انا فاخدم الحياة · انت مذنب اليَّ ، ولذلك جئتك اطلب منكَ كفارة عن ذنبك · قيل لي ان شعارك هو « القوة في الانصاف » عَلَى اني لا اصدق ذلك · بيدَ انه يجب ان تكون منصفاً نحوي ، فاني أم

وكان الملك حكيماً الى درجة تمكن فيها من التغاضي عن جسارة هذه الكلمات وادراك القوة المستترة وراءها · فقال

-- اجلسي وتكلمي · أود ان أسمع كلامك ·

فجلست كما تسنى لها على البساط في حلقة الملوك المتزاحمين · وهاك ما قصته ·

-- لقد جئت من قرب سالرنو — من مكان بعيد في ايطاليا ، ولا اخالك تدري اين تلك الجهات · كان ابي صياداً وزوجي مثله · وكان زوجي جميلاً سعيداً · انا جلبت له السعادة · وكان لي غلام هو اجمل الاولاد في العالم ···

فقال الفاتح الهرم مقاطعاً اياها بتأنٍ

-- مثل ولدي جهانغير ···

فاتمت الامرأة كلامها قائلة

-- ولدي اجمل الاولاد أجمع واذكاهم · وكان له من العمر ست سنوات · فاتى شاطئنا مركب فيه قرصان من العرب فسبوا ولدي · وها قد صار لي اربع سنوات أطوف في الارض افتش عنه · هو الان لا شك عندك · قد تأكد لي ذلك ، لاني علمت ان جنود بيازيد أسروا القرصان ، وانك قهرت بيازيد وانتزعت كل شيء من يده · فعليك ان تعلم اين ولدي ، وعليك ان تدفعه اليّ !

فضحك الجميع ، وقال الملوك والامراء الذين يحسبون انفسهم حكماء

كل حين ·

-- انها مختلة الشعور ·

وضحك الملوك والندامى من امراء وقواد جميعاً

اما الشاعر كرماني وحده بين هؤلاء نظر اليها برزانة · وكذلك تيمورلنك رنا اليها بتعجب ·

وقال كرماني الشاعر السكران متأنياً

-- انها مجنونة كأم ·

اما الملك عدو الكون فقال

-- ألا كيف اتيتِ ، يا امرأة ، من تلك الاقطار التي اجهلها واجتزت البحار والانهار والجبال والغابات ؟ كيف لم تمسك الوحوش بسوء ، او الناس ، وهم اكثر الاحيان اشد أذى من الضواري ، وقد كنت عزلاء من السلاح ، وهو الصديق الوحيد للذين لا نصير لهم ، لا يخونهم ما دام في يدهم قوى · أود ان اعرف هذا كله لاصدقك ، فلا يحول عجبي دون فهمك

ألا فلنمجد الامرأة — الام ، التي ليس لحبها حد ، تلك التي تغذيّ العالم بثدييها · كل ما هو جميل في الانسان تأتى عن اشعة الشمس ولبن الام — هذان الشيئان هما مصدر ما في قلوبنا من محبة الحياة ·

فقالت الامرأة لتيمورلنك

-- لقد صادفت في طريقي بحراً واحداً فوجدت فيه كثيراً من الجزائر وقوارب الصيادين · ومن الموءكد انك اذا كنت تفتش عن حبيب لا تعدم

ريحاً موافقة . اما الانهار فما اهون قطعها سباحة عَلَى مَن ولد وترعرع عند شاطىء البحر . اما الجبال — فاني لم ألمح جبالاً .

هنا قال الشاعر كرماني بصوت يمازجه الطرب

— ان الجبل يتحول سهلاً امام المحبين .

— أجل لقد مررت في طريقي باحراج فيها خنازير برية ودببة ونمورة وثيران ضارية هائلة رأيتها تحني رؤوسها الى الارض علامة التهديد . وقد رنا الي الفهد مرتين بعينين تشبهان عينيك ، بيد ان لكل وحش قلباً . فكلمتهم كما اكلمك الان ، فصدقوا اني ام — وراحوا وهم يتنهدون مشفقين علي . ألعلك لا تدري ان الوحوش كسواها تحب الاولاد وتدافع عن حياتهم وحريتهم مدافعة ليست باسوأ من مدافعة البشر ؟

فقال تيمور — صدقت ، يا امرأة . انا اعلم ان الوحوش شد ما تحب حباً اقوى من حب البشر وتدافع مدافعة اصعب مراساً من مدافعة الناس .

— فاكملت المرأة حديثها وقالت

— الناس كالطفل . فان كل ام منهم هي طفل مئة مرة في نفسها . والناس عَلَى الاطلاق ابناء امهاتهم . أليس لكل منهم أماً ؟ أو ليس كل منهم ابن امرأة ؟ حتى انت ايها الهرم — ولا اخالك تجهل ذلك — مولود من امرأة . تستطيع ان تنكر الله ، ولكنك لن تستطيع نكران هذه الحقيقة ، ايها الشيخ .

فهتف كرماني الشاعر الجسور

— صدقت يا امرأة . ان قطيعاً من الثيران لا ينتج العجول . وبغير الشمس لا تنور الازهار ، وبغير الحب لا سعادة ، وبغير الامرأة لا حب ، وبغير الام ليس من شاعر ولا بطل .

فقالت الامرأة

— اعطني طفلي ، فاني امه واحبه

ألا فلنسجد للامرأة — فهي التي ولدت موسى ومحمداً والنبي العظيم عيسى الذي قتله الاشرار ، ولكنه سيقوم من الموتى — كما صرح شريف الدين — ويأتي ليدين الاحياء والاموات ، ويكون ذلك في دمشق — أجل ، في دمشق !

ألا فلنسجد امام تلك التي لا تنفك تلد لنا العظام بلا انقطاع . فارسطاطاليس من ابنائها ، والفردوسي ، والسعدي الحلو كالعسل ، وعمر الخيام المشبه خمراً ممزوجة بالسم ، والاسكندر ، والاعمى هوميروس — هؤلاء كلهم ابناؤها ، كلهم رضعوا لبانها ، كلهم قادتهم الى الورى حين كان طول كل منهم لا يربو عَلَى زهرة السوسن . ألا فلنسجد لها فان كل فخر في العالم مصدره الامهات .

فكر تيمور غورغان الهرم الاشيب النمر الاعرج مدمر المدائن ملياً وصمت طويلاً . ثم قال موجهاً خطابه للجميع

— مين تانكري كولي تيمور ! (انا ، عبدالله تيمور ،) أقول ما يجب

ان اقوله ! لقد عشت سنين كثيرة حتى اصبحت الارض تأن تحتي · وقد صار لي ثلاثين سنة استأصل حصاد الموت بهذه اليد لاثأر منه لولدي جهانغير الذي اخترمته المنون — لاجازي الموت علَى اطفائه شمس فوءادي · كثيرون قاوموني وحاربوني دفاعاً عن الممالك والمدن ، ولكن لم يقاومني احد دفاعاً عن الانسان ، فلم تبق للانسان قيمة في عيني واصبحت لا ابالي بما هو الانسان ، ولا لماذا وُجد في طريقي · انا ذاك تيمور الذي قال لبيازيد بعد أن قهره — « يلوح لي ، يا بيازيد ، ان الممالك والناس لاشياء تافهة في نظر الله · ألا تراه يدفعها الى يدي اناس مثلي — انا الاعرج — ومثلك — انت الاعور ! » قلت له هذا عندما جيء به الى حضرتي يرسف في قيوده يأن عاجزاً عن القيام تحت اثقالها · قلت له هذا ونظرت الى تعاسته فشعرت ان الحياة مرّة كالحنظل نبات الخرائب ·

— انا ، عبدالله تيمور ، اقول ما يجب ان اقوله ! هوذا امرأة جالسة بحضرتي ومثلها في الورى عدد لا يحصى ، ولكنها اثارت في نفسي شواعر كنت اجهلها · كلمتني كما تكلم مساوياً لها ، ولم تلتمس ما تريد بلسان الاسترحام بل طلبته بلهجة الآمر المتقاضي · فادركت ما الذي جعل هذه الامرأة قوية — هي تحب · وحبها جعلها تدري بان طفلها لشرارة حياة قد يتأتى منها لهيب يدوم اجيالاً · أو لم يكن الانبياء والرسل اطفالاً ؟ أو لم يكن الابطال كلهم ضعافاً ؟ أواه ، يا جهانغير ، يا نور عيني ! ربما كان مقدراً لك ان تنير الارض وتدفئها وتزرع فيها بذور السعادة — فلقد رويتها

انا بالدماء فاصبحت مخصبة ·

وعاد آفة الشعوب الى التفكير ملياً ثم قال

— انا ، عبدالله تيمور ، اقول ما ينبغي قوله · ليذهب في الحال ثلاثون فارساً الى انحاء مملكتي وليجدوا ابن هذه الامرأة · اما هي فتبقى هنا بالانتظار وأبقى انا كذلك · وسعيد من يعود بطفلها علَى سرج جواده — يقول تيمور ! أليس كذلك ، يا امرأة !

فازاحت شعرها الاسود عن وجهها وابتسمت له واومأت برأسها ايجاباً وقالت

— بلى ، ايها الملك ·

حينئذٍ وقف الشيخ الرهيب وانحنى امامها صامتاً · اما الشاعر الطروب كرماني فانشد مبتهجاً كالطفل —

أي شيء ابهى من الاشعارِ   نُظمت في النجومِ والازهار
ان خيراً منها قصيدة حبٍ   عند صبٍ يهيم في كل دار

. . .

أي شيء ابهى من الشمس في يوم — صبيح من الربيع عجيب؟
ان خيراً منها ، يعرف محبٍ   عذبته النوى ، محيا الحبيب

. . .

ايه ، ان النجوم ذات بهاء   ايه ، والشمس لا محالة ابهى
ايه ، لكن نظرة من حبيبي   حين يحنو أبهى وألطف منها

. . .

انما أجمل الاناشيد في الدنيا — نشيد لم تأتِ فيه روايه
هو نعم النشيد يفصح عن قلب — البرايا ، عن بدء كل بدايه

. . .

هو نعمَ النشيد عن مهجة الارض — واصل الحياة بين العباد
عن فوءاد التي يسمونها « الام » — وأعجب بحسنه من فوءاد

*

وقال تيمورلنك لشاعره

— أصبت ، يا كرماني ، فالله لم يخطأ في انتخاب شفتيك وعاءً لنشر حكمته .

فقال كرماني السكران

— أجل ، ان الله نفسه لشاعر مفلق .

أما الامرأة فابتسمت ، وابتسم معها الملوك والامراء والقواد وسائر الابناء وهم ينظرون اليها — الى الامرأة الام .

***

كل هذا حقيقة . كل ما ذكر هنا من الكلام هو الصدق بعينه تشهد بذلك امهاتنا . سلوهنّ يقلنَ لكم

— بلى ، كل هذا حقيقة ابدية . نحن اقوى من الموت ، نحن اللواتي ما زلنا تقدم للورى بلا انقطاع حكماء وشعراء وابطالاً ، نحن اللواتي ما زلنا تزرع فيه كل ما يرفع شأنه ويوءول الى مجده .

بالأمس

لجبران خليل لجبران

* * *

كان لي بالامس قلب فقضى — وأراح الناس منه واستراح
ذاكِ عهد من حياتي قد مضى — بينَ تشبيبٍ وشكوى ونواح
انما الحب كنجم في الفضا — نوره يُمحى بانوار الصباح
وسرور الحب وهم لا يطول — وجمال الحب ظل لا يقيم
وعهود الحب أحلام تزول — عندما يستيقظ العقل السليم

. . .

كم سهرتُ الليل والشوق معي — ساهر ارقبه كي لا أنام
وخيال الوجد يحمي مضجعي — قائلا « لا تدنُ ! فالنوم حرام»
وسقامي هامس في مسمعي — «من يريد الوصل لا يشكو السقام»
تلك ايام تقضت ، فابشري — يا عيوني ، بلقا طيف الكرى
واحذري ، يانفس ، ألاّ تذكري — ذلك العهد وما فيه جرى

. . .

كنتُ ان هبّت نسيمات السحر — أتلوى راقصاً من مرحي
واذا ما سكب الغيم المطر — خلته الراحَ فأملي قدحي
واذا البدر عَلَى الافق ظهر — وهي قربي صحتُ «هلاً يستحي!»
كل هذا كان بالامس ، وما — كان بالامس تولى كالضباب

تعالوا معي الى تلك الغرفة المظلمة في اطراف نيويورك ادخلوا وانظروا فالليلة من ليالي آب المقمرة · هنا عَلَى السرير · ألا ترون بولس ؟ ما باله مستيقظ وقد دقت الثالثة بعد نصف الليل · ما باله يبتسم لجدران غرفته كأنه مجنون يلاعب نفسه · هاقد نهض من سريره وجلس بقرب النافذة مسنداً رأسه بيديه · انه يتأمل في جمال السماء ويتلذذ بنسيم الليل المنعش · ها قد رجع الى السرير واخذ من تحت الوسادة صورة فوتوغرافية · انه يتفرس فيها · انه يقبلها · وهذا الخاتم · ما باله يلاعبه بانامله بدلال واعجاب وحنو · ها هو قد اشعل القنديل · ها قد اخذ مفكرته السرية وشرع يكتب ويده ترتجف وصدره يهبط ويرتفع ·

« الجمعة في ٢ آب · انا اكتب ليلاً · اكاد أجن من فرحي · غداً »
« سيعقد لي عَلَى بولين · اواه ما اطول هذا الليل · هذه ألذ ساعة حييتها · »
« انني سعيد · سعيد جداً · سامحني يا ألهي عَلَى هذه السعادة ودعها ان »
« تدوم إكراماً للمسيح · »

مَن يلوم بولس عَلَى هذا الجنون ؟ مَن يعرف بولين ولا ينحني اجلالاً لهذا الاسم ؟ ان الملائكة ليست اطهر من بولين ، وان صورة الجوكوندا المسروقة من قصر اللوفر ليست اجمل من بولين ، وان حب مدام ريكاميه لرولف الانكليزي لم يكن اعمق ولا اثبت من حب بولين · واية سعادة يحلم بها البشر يمكن ان تعادل سعادة الحب · اية لذة تعادل هذه اللذة واية نشوة تُخدر الروح بانفاس العطر وتمددها عَلَى اسرة الورد وتغطيها بانسجة من

لمعان الصبح وتهز لها بايدٍ ناعمة اكثر من المخمل والحرير كهذه النشوة نشوة الحب ؟

بولين · تلك الاميركية الجميلة التي فتنت نيويورك فحامت حولها القلوب وترامت عَلَى قدميها افئدة عشاق الجمال · تلك الفقيرة التي تمنى الوف الاغنياء ان يبتاعوا قبلة من ثغرها بجميع خزائنهم · تلك العاملة التي لو شاءت لاصبحت ربة قصور الافنيو الخامس ومديرة ملايين وال ستريت · تلك الفتاة الفتانة ، تلك الكليوبطرة الاميركية رفضت نيويورك واميركا والعالم لاجل عامل فقير اجنبي اسمه بولس · تلك الزنبقة البيضاء ، تلك الوردة الناضرة ، تلك الفلة الساحرة ، تلك الحمامة الناعمة ، تلك الذات المعنوية الخارقة ، تلك الماسة الصافية العجيبة ، تلك السعادة الوافرة الابدية ، هي له · عندما يطلع الفجر ، عندما تشرق الشمس ثانية ، بعد ساعات قليلة ، هي له ، لقلبه ، لروحه ، لنفسه · فكيف ينام !

طلع الفجر وبولس يتنقل من السرير الى النافذة ومن النافذة الى الفضاء المرصع بالنجوم وهناك يضيع بفكره بين منعطفات الاحلام ومنعرجات الآمال · ولما غابت النجوم منغمسة في صدر الفضاء افاق من غيبوبة تأملاته فاذا بالمدينة قد لبست حلة عرائسية من بياض الصباح والعصافير قد برزت من مجاثمها تصفق وتغني حول بنات الشمس الراقصة فكأنه يشاهد عرساً بهياً اقامته الطبيعة تنشيطاً للحياة وتقديساً للجمال · وللحال نهض فغسل وجهه ولبس ثيابه الجديدة ونزل الى الشارع بخطوات واسعة وقلب

كبير ووجه يتدفق بشراً ·

من شاهد بولس في ذاك الصباح لم يعرفه · يمشي وكأنه يطير فوق الارض · ينظر وكأن النور يتفجر من عينيه · يلتفت وكأن وجهه مُسخ وجهاً آخر لتمثيل المسرة والحبور · اذا وقف واذا مشى واذا نظر واذا تكلم واذا سكت ففي وقفته وفي مشيته وفي نظرته وفي لهجته وفي سكونه ما يهيج البهجة ويحرك السرور والاستحسان · وهناك عَلَى محياه البسيط ارتسمت خطوط ورسوم وهيئات واشباح كلها طهارة وفرح وسلام وصفاء وطرب·
في كل ماضي حياته لم يعرف صباحاً غريباً كصباح ذاك السبت · جميع الاشياء الواقعة تحت حواسه لبست هيأة غريبة · البيوت التي طالما دعاها اعشاشاً للفساد ومسارحاً لحشرات الظلام ظهرت كأنها كنائس تفوح منها روائح البخور وتتوهج انوار الشموع الملونه · الخمارة التي طالما تحاشى المرور بها لئلا يسمع بذاءة السكارى ظنها معمل العطور وجعل يتنشق رائحة الوسكي كأنها عبير البنفسج · الاوتوموبيلات التي قال انها مبنية من ضلوع الفقراء خالها رُسلاً سماوية مسرعة لتخفف ويلات الشقاء في الارض ·

والشارع — الشارع الذي يدوسه كل يوم اصبح مرآة صقيلة تنعكس فيها صورة الجلد الصافي وتطل من وراءه مناظر سهول وجبال وجنائن وانهار بعيدة بعيدة · وتطلع فاذا بالاشجار عَلَى جانبي الشارع قد اصبحت غادات عاريات تماسكن برشاقة واناقة متمايلات راقصات عَلَى نقرات اوتار فضية خفية ينقلنَ اقدامهنَّ الصغيرة الناعمة عَلَى بساط من المخمل الاخضر

بدأ بولس ان يشك بحقيقة ما يرى · لذلك تقدم الى زاوية الشارع وهناك الاعمى جاك يستعطي فسأله

— اي يوم هذا من الاسبوع يا جاك ؟

— ويلك · ألا تعلم انه نهار السبت المبارك ؟

— صحيح · صحيح · اذاً فاقبل مني هذه الهدية الصغيرة المباركة واخذ من جيبه ورقة بعشرة ريالات والقاها في يد الاعمى ومرّ بالقرب منه بائع الجرائد وهو يصيح

« الحرب · نشبت الحرب بين الدولتين الفلانية والفلانية · عساكر الاولى دخلت بلاد الاخيرة »

الاخيرة بلاد بولس · عندما مرّ اسمها في اذنيه احس بضربة قاسية عَلَى دماغه انتشلته من سكرته الجميلة · بلاده داسها العدو ! اواه كيف انقلبت به الارض بلحظة · الاشجار والبيوت والشوارع والسيارات والخمارات والمدينة بكل ما فيها جمدتْ كالقبور امام عينيه · النسيم المنعش واشعة الشمس الراقصة والعصافير المزقزقة والمرآة الصقيلة بما فيها من الجبال والسهول والجنائن والانهار اختفت واضمحلت وحلّ مكانها صورة بقعة من الارض متهدمة خربة مدوسة بحوافر الخيل تتسارع فيها العساكر مجردة سيوفاً يقطر منها الدم الاحمر ·

اخذ الجريدة وقرأ اولاً وثانياً وثالثاً · ثم طواها في جيبه وتوجه الى شركة البواخر

— هل من باخرة تسافر اليوم ؟

— نعم

— اي وقت

— بعد ساعة من الان

— اعطني جوازاً

ذهب بولس الى بيت عروسته العتيدة فاختليا ساعة ولما سافرت الباخرة كان بولس عَلَى متنها .

......

هناك في العالم القديم — في بلاد بولس الصغيرة اصطفت عساكر العدو الجرارة الظافرة · في ذلك السهل الفسيح برزت طلائعها الفخيمة فكادت تسد اطراف الافق وتحجب نور شمس النهار · وتحركت فكأنها سلسلة جبال نارية تتهدج بما في بواطنها من الضرام المتأجج واللهيب الاكال · وسارت تخفق فوق روءوسها بنود الظفر وتتوهج بينها شفرات العز والانتصار · الوف موءلفة ابطرتها السطوة واسكرها الفتح الكثير فضربت طبولها ونفخت ابواقها وجردت بواترها الدامية واندفعت متدفقة كالسيول ، مزمجرة كالرعود ، مزبدة كاللجج · الى اين ؟ الى العاصمة

تقدمت الجنود الوطنية الباسلة لتقف في وجه التيار الغازي · واشتبكت المعركة فهجمت الاشبال مدافعة عن عرينها بكل ما وهبتها الطبيعة من العزم والسرعة والبسالة فكادت اولاً ان تفترس عدوها المغتصب · فان هناك فرقة

صغيرة وطنية هجمت في الطليعة دفعة واحدة فافتتحت بالحراب طريقاً واغتصبت لنفسها مركزاً حصيناً جعلت تصب منه نيران بنادقها عَلَى العدو فتفتك به فتكاً هائلاً · ومرّت ساعة عَلَى هذه الحال كادت فيها الجنود الوطنية ان تحرز نصراً وافياً بفضل الفرقة الصغيرة لكن العدو تنبه اليها اخيراً وصدر الامر العام بان يُستعاد المركز الحصين باية فدية كانت وان تُذبح الشرذمة المحتمية فيه عن آخرها · ويا لهول تلك الساعة · فان الاعداء تدفقوا عَلَى النقطة المقصودة بكثرة النمل واحاطوا بالشرذمة الصغيرة احاطة السواد بالمعصم فاشتبك السيف بالسيف والتحم المتكافحون صدراً الى صدر ودارت المذبحة الفظيعة وتفجرت الدماء كالينابيع فصبغت الارض بلون الارجوان وتركت بركاً حمراء يغوص فيها الجندي الى ركبتيه · وتكردست جثث القتلى فسدّت المعابر وملأت الارض فاضطر الحي ان يعبر عَلَى اشلاء اخيه القتيل · لكن البسالة لا تفيد كثيراً مع قلة العدد ولا بد للاكثرية ان تفوز فانه لم يبقَ من الفرقة الباسلة سوى جندي واحد قد صبغت ملابسه بالدم وهو ذاك الذي كان يدير رفاقه بعد قتل ضابطهم في بدء المعركة · وقف هذا الجندي الوحيد يمسح الدم عن وجهه المسود بالدخان شاهراً بيمينه سيفاً مكسوراً واحاطت به عشرة من جنود العدو صائحة — « سلم سيفك »

— سيفي لا تمسه ايدي الانذال

— قد مات جميع رفاقك

— ماتوا شرفاء وستموتون انذالاً

— انت واحد ونحن عشرة

— قاتلوني لنرى

— نرفض قتالك

— اذاً فانزلوا اليّ واحداً واحداً

— نرفض مبارزتك

— إذاً ساجبركم عَلَى القتال فخذوا حذركم

قال هذا واندفع مطبقاً عليهم ولكن رصاصة في تلك اللحظة اخترقت ذراعه فهوى السيف المكسور من قبضته وسقط جسمه عَلَى الارض بلا حراك

وكان القائد الوطني العام يشاهد بنظارته من بعيد كل ما جرى

مضى النهار ودارت الدائرة عَلَى الجند الوطني لقلة عدده فتراجعوا بانتظام بعد ان تركوا من اخوانهم جمعاً غفيراً ساقطاً في ارض المعمعة · ولكنهم لم ينسوا تلك الفرقة الصغيرة التي دافعت دفاع الاسود وقد صدر امر القائد بان يوءتى بجثث افرادها لكي تدفن باجلال واكرام · جيء بالجثث فمددوها في وسط المعسكر وجاءت الاطباء للفحص فحكموا بموت الجميع الا واحداً كان مغمياً عليه لكثرة ما نزف من الدم من جرح بليغ في زنده الايمن ·

غسلت جروحه وضمدت واعطي منبهاً فاستفاق · وكان القائد العام واقفاً عند رأسه متفرساً في ملامحه باعجاب وانعطاف · فلما اصبح قادراً عَلَى الكلام سأله القائد — « هل انت من الفرقة التاسعة »

— نعم يا سيدي

— أَمَا انت صاحب السيف المكسور الذي كان آخر من دافع من تلك الفرقة المنقرضة ؟

— نعم يا سيدي القائد

— قد تذكرتك جيداً · وما هي وظيفتك ؟

— جندي بسيط يا سيدي

— وما هو اسمك ؟

— خادمك الحقير بولس

— من الان فصاعداً قد اصبحتَ « الضابط بولس »

مرَّ اليوم الاول والثاني والثالث الى نهاية الاسبوع والعسكر الوطني يتراجع امام الفاتحين لا خوفاً وانما لقلة عَدده وعُدده · وجعل الحصن يسقط بعد الحصن والخندق تلو الخندق والعدو الزاحف كالجراد يقترب رويداً رويداً حتى لم يبقَ بينه وبينها الا صف الحصون الاخير فقلقت المدينة وتولى الرعب قلوب سكانها ووقفت الجنود الوطنية وقفتها الاخيرة التي معناها اما الظفر واما الموت · دارت المعركة الفاصلة وحمي وطيس القتال فكادت الارض تنفجر من وطء الجبال الآدمية المتصادمة · انها المعركة الاخيرة وعليها تتوقف حياة امة باسرها · وانتصف النهار وبدأت كفة النصر تميل مع العدو وبدأ الجيش الوطني بالتراجع امام القوات الهائلة · وخاف سكان العاصمة فشرعوا يستعدون لاخلاء المدينة المحبوبة بعويل وانتحاب · وطاش رأس القائد العام حينما رأى فرقه الباسلة تذوب الواحدة بعد الاخرى تحت نيران

المدافع بلا جدوى · فجمع قواده ومستشاريه وعقدوا ديواناً حربياً ليقرروا فيه الخطة الاخيرة قبل فوات الاوان ·

للمراكز الطبيعية في الحروب اهمية عظيمة لا يُستهان بها فانها قد تكون احياناً كثيرة سبباً لانتصار شرذمة حقيرة عَلَى جيش كبير · وفي التاريخ امثلة كثيرة قد حفظتها اقلام المؤرخين تثبيتاً لهذه الحقيقة · فمن الامثلة في الحروب القديمة المعبر الذي حارب فيه الاسبرطيون الثلاثمائة جيشاً عظيماً من الفرس وكادوا يفتكون به لولا خيانة احدهم افلتيس المشهورة · ومن الحديثة ما حدث في معركة واترلو التي اسقطت امبراطورية نابوليون واضاعت مجد فرنسا المشترى بدماء ابنائها · فان الخنادق الرملية التي اخفى الانكليز فيها مدافعهم في وسط السهل عن عيون القائد العظيم كانت من الاسباب المهمة التي افسدت عليه خطته الماهرة · وكذا في الحرب الحاضرة فقد رأينا كيف يتصارع الالمان والفرنسويون عَلَى تلال فردون مشترين الذراع من ارضها بارواح المئات والالوف من افضل الجنود واشدها فتكاً

وقد حدث انه كان للمركز الطبيعي في المعركة التي نحن بصددها الاهمية الاولى · فقد قرر الديوان الحربي بمصادقة القائد العام بعد المداولة الطويلة ان الدائرة ستدور عليهم ان لم يستولوا عَلَى رابية هناك معينة في حوزة الاعداء كانت مركوزة عليها مدافعهم الرشاشة التي حصدت رجالهم حصداً · لكن المهمة تتطلب تضحية كبيرة فان الفرقة الاولى التي ستهجم اولاً عَلَى الرابية لا يمكن ان يبقى منها واحد فاية فرقة تقدم نفسها لهذا الموت المحتوم ؟

تردد هذا السوءال في افكار الضباط والجنود فبهتوا · ولكنه بغتة خرج من بين الصفوف صوت يقول — « نحن نذهب اولاً » وتقدم شاب صغير الجسم يلبس ثياب ضابط ويده اليمنى معلقة في لفافة بيضآء ومشدودة الى صدره وانحنى امام القائد فسأله

— أأنت تذهب بفرقتك يا بولس ؟

— اذا شاء سيدي القائد

— ولكنك جريح وزندك لا يزال معلقاً فبماذا تمسك الحسام ؟

— قد عودت يدي اليسرى عَلَى حمله واستعماله يا سيدي

— واذا حدث امر لزندك الجريح فربما اخرك عن واجباتك اثناء الهجوم

— اذا اعثرتك يدك اليمنى فاقطعها والقها عنك · كذا يعلمنا المسيح

— اذاً انت مصمم عَلَى الموت فداء للوطن

— اذا سمح سيدي القائد لي بهذه النعمة

— تعال اذاً ايها البطل الفريد · تعال اقبلك قبلة وداع

وانحنى القائد فقبل جبين الضابط الصغير

بعد دقائق قليلة وقف الضابط بولس امام فرقته الصغيرة وقد شهرت بايديها السيوف اللامعة وامتطت خيولها بكبرياء وحماسة · وضُربت الطبول اكراماً للابطال المستشهدين وعزفت الموسيقى اللحن الوطني فكشفت الفرقة روءوسها ورفعت قبعاتها باحترام ووقار ولم يكد ينتهي الدور الاخير حتى صرخ الضابط البطل — « فليحيَ الوطن »

فرددت الفرقة الباسلة بصرخة عظيمة واحدة — « فليحيَ الوطن»

ومثلما تنقض النسور عَلَى فرائسها ، ومثلما تندفع الكرات من افواه مدافعها هكذا اندفعت تلك الآساد الآدمية الى الموت يتقدمها الضابط — بولس ·

لم تكد تصل الى اسفل الرابية حتى رآها رجال المدفعية من وراء مدافعهم ولم تكد تصل الى المنتصف حتى صبت المدافع قذائفها عليهم دفعة واحدة فسقط نصف الفرقة . لكن النصف الآخر لم يتوقف بل ازداد سرعة الى الامام اذ سمع صوت الضابط امامه يصيح — « فليحيَ الوطن » · ومن تحت سحب الدخان خرج الصدى تردده افواه كثيرة بحماسة وافتخار — « فليحيَ الوطن » · وتقدم الشجعان بسرعة غريبة فائقة الوصف · ولم تمضِ دقيقة حتى اصبحوا عَلَى افواه المدافع ولكنهم لم يتحفزوا للانقضاض عَلَى رجال المدفعية حتى انطلقت تلك الالات الهائلة بصوت كأنه الرعد القاصف ولما انقشعت سحب الدخان لم يُرَ من الشجعان الا اربعة ارجال فقط · ثلاثة جنود وضابط · وصرخ الضابط بصوت يتهدج استماتة — « أهجموا حالاً عَلَى رجال المدفعية » · وبلحظة نشبت معركة صغيرة وراء المدافع بين اصحابها وبين الرجال الاربعة المهاجمين ولم تطل فان قنبلة انفجرت بينهم فقتلت الجميع الا واحداً — هو الضابط بولس · لكنه لم يكن سالمًا فان احدى رجليه كانت مقطوعة ورجله الاخرى مكسورة ويده اليسرى الصحيحة تحطمت بشظية من القنبلة فلم يعد قادراً عَلَى تحريك عضو من

جسمه · ولكنه في وسط تلك الالام المذيبة والعجز المحتوم لم يعدم وسيلة فانه قد قبض عَلَى علمه المنتصر بين اسنانه وجعل يزحف عَلَى بطنه فوق رفاقه القتلى الى ان وصل الى المدفع الكبير وهناك بكل ما في جسمه من العزم المتلاشي وبكل ما في نفسه من الهمة الباقية وبكل ما في روحه الامينة من الوداعة والابتهاج انطرح عَلَى قاعدة المدفع والعلم لا يزال بين اسنانه واركزه في الارض فوق رأسه وفوق المدفع وبصوت كأنه خارج من اعماق القبر هتف صارخاً — « فليحيَ الوطن » وسقط

......

بعدما وضعت الحرب اوزارها واستأمنت بلاد الضابط بولس من مفاجأة الاعداء قررت نظارة الحربية ان تبني عَلَى الرابية الآنفة الذكر سلسلة من الحصون والابراج المنيعة لترد عنها غارات الحروب في المستقبل · وبينما الرجال يحفرون ذات يوم في التراب عَلَى جانب الرابية عثروا عَلَى هيكل بشري برجل واحدة وكفه اليمنى موضوعة عَلَى ناحية قلبه · ووجدوا تحت الكف عَلَى ضلوع الصدر محفظة من الجلد غير بالية · ووجدوا في تلك المحفظة شيئين فقط · الاول صورة فتاة جميلة وعليها هذه الكلمات — « الى ملاكي بولس · من بولين » · والثاني ورقة مطوية فتحوها فاذا بها خارطة مصغرة — خارطة بلادهم ·

سلوا الرجال من اية بلاد هم · سلوهم اية بلاد كانت تمثل تلك الخارطة

— خارطة البطل — بلاد الابطال
أهي خارطة البلجيك ؟
ام هي خارطة سوريا ... ؟
الاكوادور

« امين مشرق »



— من اقوال الخلفاء —

قال عمر بن الخطاب — اريد رجلاً اذا كان في القوم وهو اميرهم كان كبعضهم . واذا لم يكن اميرهم فكأنه اميرهم

وقال علي من امضى يومه في غير حق قضاه ، او فرض أدّاه ، أو مجد بناه ، أو حمدٍ حصله ، أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقّ يومه

وقال معاوية — اني لا آنف ان يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي ، وذنب لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي ،

وقال المأمون — لو عرف اهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها

في الليالي البيضاء

للكاتب البولندي ستانسلاس بشيبشفسكي

****

ألا ألقي يدك في يدي !

ثم انظري إلي !

بلوتُ محاسن هذه الارض وعجائبها طراً . فمنها اني شاهدت شمساً عظيمة في بطن الابدية تسكب دم النور الملتهب علَى الارض العارية . وذقت سعادة آدم في الفردوس . وانغمست في نور منبثق من تاج ملكي مشعشع من قطب الارض الى قطبها الآخر . وبنيت اهراماً عظيمة . واغدقت المياه بين رمال الصحراء فجرت هنالك اميالاً . وعاينت جمال الاوقيانوس الرهيب حين طغى علَى الارض وغمرها بطوفانه حتى اطراف السماء . وشاهدت الارض تنفجر وتندثر بعد ان احترق الكون بأسره ...

ولكن ما احقر هذه المشاهد العظيمة كلها بازاء طرفك الكئيب التي رنا الى نفسي فنبه في سمائها ازهاراً عجيبة تمتص بشفاه اوراقها المفتوحة شراب الكآبة والتناسي .

. . .

الا فانظري اليّ كما نظرت في تلك الليلة الليلاء حين امتزج الارض والبحر فاصبحا ظلاماً كئيباً ·

كنا فيها ساكتين ، ولكن نفسينا تعانقتا وباتتا تحلمان · فحلمتا فيما حلمتا بالسكينة يُسمع من خلالها رنين اشعة النجوم ، فتخاله الاذن رنة أوتار هامدة ···

وببرقٍ لا شواطىء له ولا حد ، ينير السماء بلمعانه فلا تتصل بالارض ، فيغرق الطرف — طرف الروح المطلق في فضاء واسع لا حد له

وبابهة منسية — ابهة مدافن ازلية · يسطع فيها تراب رفات الملوك ···

وببحار هادئة هاجعة في ظلامٍ شفاف نقي ···

وباطيار صامتة ترفرف ابداً بلا صوت ودون انقطاع في بعدٍ لا منفذ منه ولا نور فيه ···

وبمدائن مائتة لا يعكر اغساقها المطمئنة نور ولا ظلمة — بمدائن لا ظل لها ، تحيا بوميض نجوم غير منظورة ···

عَلَى هذه الحالة جلسنا في حيرة ساكنة نحلم احلاماً ليست من هذا العالم · وأي جمال أسمى من الهذيذ في الحلم بأبهة مائتة يجلببها نسيج عنكبوت ازلي ، أو بتيجان اكلها الصدأ ، أو ببهاء تذكارات كساها القدم ثوباً من العفن ·

جلسنا ، وتاهت عيناك زمناً في حيرة ناعسة حتى اخترق حجاب نفسي

نور عينيك الناعستين المنتشيتين بالجمال ·

ألا فانعمي عليّ بنظرة اخرى مثل تلك النظرة

· · ·

وكلميني !

كم ليلة احييتها مصيخاً بسمعي الى ألحان اغنية كئيبة مبكية تقتطف انغامها من اوتار القيثارة انامل جارية غريبة مجهولة كانت تطرق قصري سراً في الليالي المقمرة لتعزف عَلَى مصاطبه ألحانها المدلهمة كحفيف النخيل في الواحات المنفردة أو عويل اشجار السرو المنتصبة فوق قبور متداعية · وكم اصغيت وقلبي يدق دقات كأنها خفق اجنحة فولاذية الى ألحان حماسية تنشدها ابواق جيوشي وطبولي حين تزحف الى الحرب · وكم انصت ساعات اصغي الى لغط امواج البحر ، ونفسي ترتجف خوفاً وخضوعاً امام همس الابدية ···

ولكن كل ما سمعته من الالحان والاصوات لحقير بازاء صوتك · فهو يحوك بسدى انوار الشمس الغاربة ابهة احلامي الغنية ، ويطرز امالي بوهج ازهار الخريف ·

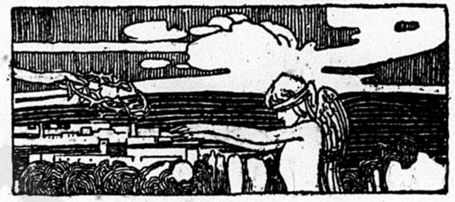
ألا كلميني !

· · ·

لقد جبت كل البحار فلم اعثر عَلَى وطنك القمري الناصع ··· وقد

طوّفت في الافاق فلم استطع ان اقتنص نظرة من نظراتك · ولقد سمعت ضجيج الامواج وأصغيت الى كلام الناس ، ولكن رنة صوتك ما ارتعشت حتى الان عَلَى اوتار قلبي …

· · ·



—(من الحديث النبوي)—

اللهمَّ اني اعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لا تشبع ·

· · ·

أوصاني ربي بتسعٍ اوصيكم بها — اوصاني بالاخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن اعفو عمن ظلمني واعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً ·

· · ·

نهيتكم عن قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السوءال ·



المسيح في ساحة القتال
للمصور داكر

الاباء والبنون

رواية اجتماعية تمثيلية

لخائيل نعيمة

****

« الفصل الاول »

الاشخاص · ام الياس سماحه — ارملة بطرس بك سماحه

الياس سماحه — ابنها البكر

داود سلامه — معلم في مدرسة داخلية

زينة — اخت الياس

خليل — اخوها

ناصيف بك عركوش — شاعر

(غرفة في بيت سماحه ، فيها ديوان الى اليمين وآخر الى اليسار وبضعة كراسي بعضها مغطى بالحرير ، مبعثرة في اطراف الغرفة بدون ترتيب · في الوسط طاولة عليها قنديل بترول بغطاء احمر · عَلَى الحائط الشمالي صورة بطرس بك سماحه في برواز كبير مذهب · عَلَى بقية الحيطان اسلحة قديمة · سيفــان وبندقية وخنجران ورمح وسرج ، وصور قديسين وملائكة · في الحائط الايمن نافذة واسعة وتجاهها في الحائط الايسر باب · في حائط

الصدر باب آخر يوءدي الى الخارج . الفصل — صيف . النهار — احد . والوقت — عصر . الياس جالس الى الطاولة يكتب . امامه دواة ، حواليها كتب وجرائد واوراق مرمية بدون ترتيب . يسمع طرقاً عَلَى الباب)

الياس — مَن الطارق ؟ ادخل . (يتجه نحو الباب ويفتحه فيرى داود) اهلاً وسهلاً بصديقي القديس مارداود ! اجلس . اجلس . ولينمحنا الله بركة صلواتك .

داود — (ناظراً الى الحيطان حواليه) ارى ان بيتكم متحف انتيكا .

الياس — متحف انتيكا واي متحف ! لو كانت امي هنا الان لاخذتك بيدك وعرّفتك بكل قطعة عَلَى حدة . كلما جاء زائر جديد تقضي معه ساعة عَلَى الاقل امام تلك الصورة الكبيرة عَلَى الحائط — تلك صورة ابي . تقص عليه حياة زوجها من يوم ولادته الى ساعة موته . ثم تنتقل الى السيفين تحت الصورة وتخبره انهما سيفا المرحوم وانه ذبح بالاول عشرين درزياً وبالثاني عشرة متاولة وتريه اثر الدم عليهما . ثم تنتقل الى تلك البندقية وتخبره ان جدها سلبها من بعض رجال ابرهيم باشا . اما الرمح فله حكاية طويلة . امي تروي عنه ان خالها المرحوم شاهين بك لما كان ذاهباً مرة الى الموصل لشراء غنم — والمرحوم كان يتاجر بالغنم — هجمت عليه زمرة من الاكراد ولم يكن معه سوى هذا الخنجر (يشير الى خنجر عَلَى الحائط) فقتل من قتل منهم ومزق شمل الباقين . وكان زعيم المهاجمين من جملة من وقع قتيلاً في تلك المعركة . فاخذ خالها رمحه الذي تراه هنا وجواده .

الجواد مات مع الايام . لكن سرجه بقي ، وهذا هو بعينه . ويل لمن يهزأ بهذه الاشياء امام امي — او بالحري يشك بقداستها — يصبح للحال من ألد اعدائها . اذكر ان مرةً زارنا خوري . وبعد ان قصت عليه امي قصة الرمح تجاسر ان يشك في ان رجلاً واحداً ، لا سلاح معه سوى خنجر ، قدر ان ينازل زمرة من الاكراد المدججين بالسلاح ويفوز عليهم . ويا ليتك رأيت امي في تلك الساعة يا داود ! — لم ينقصها الا ان تأخذ بلحية ذاك الخوري المسكين وتضرب به عرض الحائط ، مع انها تعبد الخوارنة كعبادتها القديسين . انهالت عليه بوابل من التقريع والكلام المر ولم تترك له باباً للدفاع . فلم يصدق ذاك المسكين ان حانت له فرصة حتى خرج من البيت واطلق ساقيه للريح . ومن تلك الدقيقة لم نعد نرى له وجهاً . والان اذا احببت ان تثير غضب امي فاذكر لها اسم ذاك الخوري . وبالعكس — اذا كانت غاضبة واحببت ان تستعطف خاطرها فاسألها ان تقص لك شيئاً عن هذا السيف او ذاك الرمح او تلك الصورة الخ .

داود — الافضل ان انطلق قبل ان تعود امك . ام هي هنا الان ؟

الياس — من حسن حظك ليست هنا . وقد خرجت بعد الغداء للنزهة برفقة زينة . انت لا خوف عليك منها . لكن المصيبة عَلَى من كان مثلي . انت تعرف اني اكره القديم والجديد — لا بل اكره الحياة من اولها الى آخرها — وامي تزيدني كرهاً للحياة باطوارها الغريبة وبتعلقها بكل هذه الخرافات والترهات . لو فُقدت قطعة من هذه الآثار القديمة لفقدت امي

عقلها معها · لا بل لو غيرت ترتيب هذه القطع ولو قليلاً لنادت امي بالويل والثبور ، ولظنت ان العالم كله قد انقلب رأساً عَلَى عقب ، وان ساعة الدينونة الرهيبة قد حلَّت · ولكن هذا ليس كل البلاء ، فامي علاوةً عَلَى ذلك سلطانة مطلقة مستبدة · اذا عارضها احد منا ولو في امرٍ تافه تبدأ تلعن حظها وتجادل الله الذي بلاها باولاد عقوقين مثلنا · لذلك لا يجسر احد منا عَلَى مقاومتها · انا لا اهتم لهذا الامر لان ايامي في هذه الدنيا معدودة · لكن قلبي يتفطر عَلَى فتاة كأختي زينة · هل رأيتها بعد ؟

داود — لا

الياس — فتاة قلما يوجد مثلها · لكنها قليلة الاختبار في امور الحياة · لا تزال تعد اكبر فضيلة الولد ان يطيع والديه طاعة عمياء ، لذلك تفعل كل ما تقوله امي · وتقبل دون تذمر بكل ما تجريه · هكذا — مثلاً — شاءت امي ان تعطيها لابن العركوش · لم تسألها اذا كانت ترضى به رفيقاً لحياتها ام لا · جاءها نصرالله عركوش — وهو بك كما لا يخفاك — وقال لها · « يا ام الياس · بدنا هاالمهرة لهاالمهر » فكان جواب ام الياس ان « المهرة وامها عَلَى حساب نصرالله بك » · وهكذا تم عقد خطبة زينة لابن العركوش · امي تغبط نفسها عَلَى حظ ابنتها — كما تقول · لانها هي ابنة بك وستتزوج بابن بك · ولان عريسها شاعر تسميه الجرائد « شيخ الشعراء » و « الشاعر المطبوع » و « الشاعر النابغة » · سألت زينة مرة اذا كانت تحبه فاجابتني · « وكيف اقدر ان لا احبه اذا كانت امي تأمرني ان احبه ؟ » فهل سمعت بعد

ببساطة كهذه البساطة ؟ هل تعرف ناصيف العركوش ؟ لا ؟ ألم يبتلك ربك بقراءة قصيدة من قصائده بعد ؟ لا ؟ والله اني احسدك عَلَى هذا الحظ أتحب ان تسمع هذه « الدرة الفريدة » التي تكرَّم عليَّ بها البارحة ؟ بالله عليك تدرع بالصبر واسمع · ظهرت هذه القصيدة في بعض جرائد بيروت تحت هذا العنوان · « قصيدة غرآء · نظم حضرة الشاعر العصري المطبوع والناثر البليغ المجيد سعادتلو ناصيف بك عركوش يرثي بها المأسوف عَلَى شبابه جداً ابن خالته ملحم افندي الدرعوني المتوفى حديثاً · وقد اوردناها بالحرف الواحد · نظراً لما فيها من المعجزات الشعرية والدرر الفكرية مما عودنا عليه قلم شاعرنا الكبير · قال حفظه الله —

عمَّ حزن في هذه الايام ... منه مادت اطراف ارض الشام
ما عهدنا من قبله بدرٍ تمٍ ... غاب في الترب طبق حكم الحمام
سلبتنـا ايدي المنون كريماً ... ثابت العزم وابن خير الكرام
فغدا المجد بعده في اكتئابٍ ... وغدا العلم في ضنىً وسقام

ومنها

كان بدراً لكن عراه خوف ... فغدونا من بعده في ظلام
بعده من ترى لفصل القضايا ... بعده من ترى لضرب الحسام
بعده من ترى لركب المطايا ... بعده من ترى لحل الخصام
ليت شعري كيف الكواكب تجري ... في سماها من بعد بدر التمام

داود — يكفي · يكفي ! قف · بحياتك قف !

الياس — دعني آتك عَلَى آخرها ·

داود — لا ٠ لا ٠ رحم الله اجدادك ! فقد اصابني دوران رأس ٠

الياس — (يطرح الجريدة من يده باشمئزاز) وهذه « الجعدنة » يدعونها شعراً ٠ وهذا « المجعدن» يدعونه شيخ الشعراء والشاعر المطبوع ! اذا كان قد اصابك دوران من ثمانية ابيات فماذا كنت تفعل لو كنت محلي يأتيك هذا البليد كل يوم بقصيدة ، يذكرك فيها بكل ما في هذا العالم من الشناعة والتصنع والخداع والاقذار الروحية ? لم أرَ وجهه السعيد اليوم بعد ، ولعله مشغول « بتنظيم عقد » قصيدة جديدة يأتيني بها عند المسآء ٠ انت لا تعرفه ، وانا احسدك من كل قلبي عَلَى ذلك ٠ هذا « تيس مركَب » ٠ نعم ٠ تيس مركب ! وهذا التيس المركب سيكون زوجاً لاختي عن قريب ، ولا حيلة في يدي لاقف في طريقه ٠ لا شغل له الا ان يملأ رأسه عرقاً ثم يفرغه عَلَى الورق بحبر او قلم رصاص في هيئة قصيدة كهذه ٠ واذا حدث ولم يهبط عليه « الوحي» لنظم الشعر يجلس وراء موائد القمار كل نهاره وليله ٠ قد بذَّر كل ثروة ابيه وهو الان يسعى ليبذر ثروة اختي ٠ ولا غـاية له من الاقتران بها سوى الحصول عَلَى حصتها من ارزاقنا واموالنا وعَلَى الارزاق التي اوصى بها خالي بعد موته ٠ والذي يجرحني اني اذا فهت لامي بكلمة عن ذلك تستشيط غضباً كأني جدَّفت عَلَى مار بطرس او مريم العذراء ٠ فهل تلومني بعد ذلك اذا كرهت هذه الحياة واحببت التخلص منها ? والله ليشق عليَّ ان امشي عَلَى ارض يمشي عليها ناصيف العركوش وان ارى نفسي في عالم يحسب امثاله اناساً ويدعوهم « شعراء مطبوعين » وما هم سوى

تيوس مركبين ٠ ماذا ترجو لشعب شيخ شعرائه ناصيف العركوش ? أتصدق اني احياناً اكره امي كذلك وجورها وادعاءها بما تعرف وبما لا تعرف ? اكره اختي ايضاً لعماوة قلبها وبساطتها واستسلامها ٠ اكره اخي لانه ، كناصيف العركوش ، زائد في هذه الدنيا ، كالواو في « عمرو » ٠ واذا كانت فيه فضيلة ما فهي انه لا ينظم الشعر كأبن العركوش ٠ انا ابغض نفسي كذلك لاني لا ارى لي محلاً في هذه الحياة التي تجري حولي كامواج نهر — مدفوعة بقوة عمياء — لا تدري لماذا تجري ولا الى اين ٠ وانا غريب واقف عَلَى الشاطىء انظر واضحك من هذه الالاف بل الملايين المتقلبة فوق امواج الحياة ظانة انها تسير الى ارض الميعاد وما هي الا سائرة الى لجة الفنآء حيث لا يخضر امل ولا تنبت حياة ٠

داود — هل كنت تقرأ شوبنهور في المدة الاخيرة ?

الياس — قرأت شوبنهور فوجدته يترجم عن افكاري تماماً ٠ شوبنهور لم يكشف لي شيئاً جديداً لكنه ثبت اعتقادي بما كشفته بنفسي من زمان وما كشفه سليمان الحكيم من اجيال ٠ باطل الاباطيل كل شيء باطل ٠ قد كشفها كذلك من قال —

اشاب الصغير وافنى الكبير   مرور الليالي وكر العشي
اذا ليلة هرمت يومها   أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا   وحاجات من عاش لاتنقضي

نعم ٠ وحاجات من عاش لا تنقضي ٠ واذا كانت حاجاتنا لا تنقضي

في هذه الدنيا فلماذا نعيش وندأب ونحزن ونبني ونعشق ونزوج ونتزوج عالمين ان الموت سيأتي عاجلاً او آجلاً ويجرفنا مع كل ما بنينا وخزنا وعشقنا الى هوة العدم · حقاً ان سليمان كان حكيماً · ولو عاش اليوم لكان يظفر ، ولا شك ، بجائزة نوبل · باطل الاباطيل كل شيء باطل !

داود — (باسماً) يضحكني منكم ايها الزاهدون في الحياة انكم تكرزون على سواكم بالتخلص من هذه الدنيا قبل الاوان وتحفظون لانفسكم الحق ان تكونوا من المتفرجين لا الممثلين ·

الياس—هل تعني اني انا خائف من الموت ? لا ، وحياة رأسك ! اسمع اذن · (يخرج ورقة من الطاولة ويقرأ) · بتاريخه نحن الواضعين اسماءنا ادناه قد تعهدنا ان نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة قبل بزوغ شمس العاشر من شهر آب من السنة الحالية · وقد اخترنا لهذه الغاية السنديانة امام كنيسة مار يوحنا حيث تظهر جثثنا الهامدة عبرة للباقين وراءنا من المغشوشين بهذه الدنيا والمتعلقين باذيال هذه الحياة الفارغة · نحن نعتقد ان الحياة سخرية ولا نشاء ان نكون من ممثليها · نحن نعتقد اننا وجدنا في هذا العالم صدفة بدون ارادتنا وبدون غاية معقولة ، وان حياتنا ابتدأت في الرحم وتنتهي بالموت · نحن لا نؤمن بوجود اله او قوة علوية عاقلة ولا نصدق بوجود حياة بعد القبر · وبما ان هذه الحياة القصيرة محاطة بالاحزان والاوصاب والاوجاع ، ولذاتها قليلة لا تدوم ، فقد حتمت علينا عقولنا ان نتخلص من هذا الوهم الذي ندعوه « الحياة » بالواسطة المذكورة اعلاه ·

وننصح لكل عاقل ان يحذو حذونا

الامضاوات

الياس بطرس سماحه

خذ · برهن لي انك رجل وضع اسمك هنا · (يناوله الورقة)

داود — (يرد الورقة بهزء) ولماذا تطلب لك رفاقاً ? ألعلك تخاف ان تموت وحدك ? وهل كل الزاهدين جبناء مثلك ?

الياس — اخاف ? انا اريد ان اخدمك خدمة صديق ، وان اخلصك من وهم لا تزال عيناك مطبقتين دونه — فهل تدعوني لذاك جباناً ?

داود — وماذا تريدني ان ادعوك ? أأدعوك شجاعاً وانا اراك تنهزم من وجه اصغر الاعداء ? ألا ترى انك تبغض الحياة لان الحياة لا تقدم لك كل ما تشتهيه دون اقل عناء من جهتك ? ذاك لانك عشت الى الان ولم تدرك ان الحياة جهاد وان لذة البقاء في هذا الجهاد المستمر · وانك اذا شئت ان لا تكون حرفاً مهملاً في كتاب هذا العالم الواسع يجب ان لا تبقى من المتفرجين بل ان تدخل ميدان القتال مستعداً ان تقبل النصر والفشل سواء · وان لا تقنع بفوز قليل ولا تيأس من خيبة كبيرة · انت جبان لانك الى الان لم تجسر ان تخوض ساحة القتال · أبغضت الحياة لانك لا تعرفها فوقفت تتعجب كيف يعيش الناس ولماذا · وبدلاً من ان تبحث عن السبب الذي يحبب الى الناس الحياة ، مع كل ما فيها من الشقاء والتعس ، والاحزان والالام والشر ، وجدت ان اسهل الطرق ان تنبذ الحياة وتنبذ الناس الذين يحبون الحياة وتنادي بالانتحار العمومي · اوَليس ذاك جنوناً ? هل يخطر

لك ببال انك قادر ان تفني الحياة عن وجه الارض ؟ لنفرض انك اقنعت كل البشر ان ينتحروا في يوم معلوم وساعة معينة — فهل تمحق بذلك الحياة ؟ ماذا تفعل بالارض وحيواناتها وطيرها وحشراتها واسماكها ؟ ماذا تفعل بربوات المكروبات التي تملأ كل مغرز ابرة في الهواء حول الارض ؟ هي حية وتحمل جوهر الحياة . وبعد هذا كله — هل تظن انك بمحقك الحياة عَلَى هذه الارض تمحق الحياة من العالم كله ؟ وما انت وما هي هذه الكرة الصغيرة التي تمشي عَلَى ظهرها بالنسبة لما فوقك وما تحتك من العوالم السابحة في الفضاء التي لا تعرف ما هي ومن اين انت والى اين تذهب ؟ المجرد كونك تجهل سر الحياة تحسب الحياة سخرية ؟ ألأن عقلك البشري لا يزال قاصراً عن ادراك عظمة هذا الكون تحكم عَلَى الكون بالفناء ؟ انت كالبدوي الذي وجد مرة ساعة ولم يكن رأى مثلها في حياته . فلما سمع تكتكتها ضرب بها الارض قائلاً — « فيها قرد . » لو عرف البدوي قيمة الساعة لفرح بما لقيه . ولو عرفت انت قيمة الحياة لغبطت نفسك انك حي بين احياء . ألا تشرب من ماء نبع الا اذا عرفت اين يبتدىء واين ينتهي ؟ تصور سمكة خرجت من البحر الى الشاطىء وجلست هناك تسأل نفسها — « ما هو الماء ومن اين اتى وما نفعه ؟ » وقررت في عقلها ان لا ترجع الى البحر حتى تجيب هذه السوءالات . أوَليس هذا ما تفعله انت ؟ تسحب نفسك من الحياة وترفض ان ترجع اليها حتى تدرك كنهها . وما انت بالنسبة الى الحياة الا كالسمكة بالنسبة الى البحر . اذا احببت ان تدرك سر الحياة فعش . وان

عشت فلا تسأل ذاتك — ما هي الحياة ؟ ولا يعيش الا من أدغمت نفسه في نفس العالم العمومية ، فشعر انه جزء من الكل . لو سألتني عن سبب زهدك لقلت — لانك عشت الى الان لنفسك ، ولم تفكر الا بنفسك ، لذلك تعتب اذ وجدت نفسك الصغيرة سائرة ضد نفس اكبر منها بربوات — ضد نفس العالم . فلو تمددت نفسك حتى عانقت النفس العالمية لسهل الحمل عليك ولوجدت انك اذا خدمت الغير تكون تخدم نفسك . ألم تخبرني الان عن اختك وعريسها ؟ ألم تقل لي انه يشق عليك ان تراها تذهب ضحية بساطتها واستبداد امك وفريسة « لتيس مركب » لا غاية له فيها سوى مالها ؟ لماذا ترضخ لارادة امك ؟ أوَليس لانك تخاف معارضتها ولا تأنس من نفسك قوة لمعارضة احد . ألا تخجل ان تجلس ساكتاً وامامك مستقبل اختك ، بل حياتها كلها ، تقدم محرقة عَلَى مذبح التقاليد والغرور ؟ امك ترغب بابن العركوش لانه بك . وتحسبه من مقامها . وانت تنهزم من امام البك وامام امك لان لا قوة لك عَلَى مقاومة احد . انت تخشى الفشل لذلك اقول انك جبان . وفي هذه البلاد الاف كاختك يحتجن الى منقذ يخلصهن من جور امهات كامك وبلادة رجال كابن العركوش ويرفع الغشاء عن اعينهن ليرين العالم كما هو ويدركن مقامهن وحقوقهن في العالم . فهل لا شفقة . . . (يُفتح الباب فجأة وتدخل ام الياس وبعدها زينة)

ام الياس — اوف . اوف . هاالشوب (تروح بمروحة في يدها) شي بيسلق . (الى الياس) كيف اجاك قعود انت طول النهار بالبيت ؟ — يمة

بعدك بتشارع ربنا ؟ (مشيرة الى داود) مين حضرة الشاب ؟

الياس — هذا صديقي — المعلم داود يا امي · هو يعلم في مدرسة عين الدلبة الداخلية ·

ام الياس — (بكبرياء) والنعم ·

داود — لي الشرف يا خالتي ام الياس ·

الياس — (مشيراً الى زينة) وهذه اختي زينة يا داود ·

داود — لي الشرف يا ست زينة ·

ام الياس — (بعد ان تجلس) مين حضرة الشاب ؟ (تروح)

الياس — قد قلت لكِ ان اسمه المعلم داود ·

ام الياس — (بحمق) فهمت انه المعلم داود · لكن فكري — مِينو ؟ شو دينه — روم ؟ موراني ؟

داود — انا ، يا خالتي ، لا روم ولا ماروني

ام الياس — بلا دين لكن — هرطوقي · آ ؟ الرحمه والستره منك يا ربي · شو هالجيل الكافر !

داود — انا لست كافراً يا خالتي ام الياس · انا اومن بالله · ويسوع المسيح من كل قلبي ·

ام الياس — لكن روم ! ليش بتقول لا روم ولا موراني ؟

داود — انا روم اذا شئتِ وماروني ، حتى ومسلم ويهودي فيوقت واحد

ام الياس — يي · نجينا يا ربي ! مسلم ويهودي ! لكن انت من اللي

صلبوا المسيح ؟

داود — اريد ان اقول اني اعتبر يسوع وموسى ومحمداً علَى السواء · في العالم اله واحد — وهو اله الجميع ليس مسيحياً ولا مسلماً ولا يهودياً — بل هو مجرد عن الاديان ، وهو واحد لا يتغير في كل الاحوال والازمان · انما كل منا يفهمه بقدر ادراكه · فيظن ان الهه هو الاله الحقيقي وان الهاً سواه اله كاذب ·

ام الياس — بحاكيك بالشرق بتجاوبني بالغرب · (تروح وقد فرغ صبرها) وين بتصلي ؟ — بكنيسة الروم يما الموراني يما البسترند يما بالجامع ؟

داود — انا اصلي في قلبي يا خالتي — لا في كنيسة الروم ولا الموارنة ولا البروتستانت ولا في الجامع ·

ام الياس — شو لنا بالكنايس لكن اذا كنا بدنا نصلي بقلوبنا ؟ شو لنا بالخوارنة والمطارنة ؟

داود — من لا يقدر ان يعبد ربه الا في الكنيسة فليذهب الى الكنيسة · ومن لا يقدر ان يخاطب خالقه سوى بلسان شماس او خوري او مطران او بطريرك فليتبع خوريه ومطرانه وبطريركه — انا اراني في غنىً عن كل ذلك

ام الياس — وبتقول انك بتعتقد بالمسيح كمان !

داود — نعم ·

ام لياس — وعاالكنيسة ما بتروح · وخوري مطران ما بتعرف ؟

داود — نعم ·

ام الياس — وبعدك بتقول انك مسيحي ؟

داود — نعم ·

ام الياس — (وقد فرغ صبرها) يي · نجينا يا ربي ! (تنهض بحمق وتخرج من الباب الى اليسار · سكوت · ام الياس ترجع بعد قليل · الى داود) شايف هاالصورة ؟ (تشير الى صورة زوجها) هي صورة المرحوم بطرس بيك · قتل بزمانه عشرين درزي بهاالسيف هادا وعشر متاولي بهاالسيف هاد · الباشا كان يحسب له حساب · كان يفرق عقل عاالدني كلها · لا مسلم ولا درزي ما كان يسترجي يتنفس بوجهه · مع هذا كله بحياتي وابد زماني ما شفته يوم حد قعد بالبيت وما راح عاالكنيسة ···

الياس — (يقاطعها) انا قد اخبرته عن ذاك يا امي ·

ام الياس — خبرته ؟ خبرته عن خالك شاهين والكل ؟ هاداك كان زنده يهز الارض · وحده قتل اربعين كردي بخنجره · شايف هاالعده وهاالرمح ؟ (تشير اليهما عَلَى الحائط) ···

الياس — (يقاطعها) قد اخبرته عن خالي شاهين كذلك يا امي ·

ام الياس — الله ينجينا شو هاالجيل الكافر ! (الى داود) ابني · بدك اكثر من ابني ؟ ما بيروح عالكنيسة الا بألف عصا · اليوم عاندني وعاندني وكسر كلمتي وما راح · مثل ما يكون بطرس بيك سماحه مش بيه · لكن خليل — رضا قلبي عليه — بيروح عاالكنيسة كل عيد وكل حد (تخرج)

« البقية تأتي »

الازياء النسائية

نبذة تاريخية اجتماعية

***

الازياء النسائية ! ما اكثر عشاقها وأثقل اوزارها ! ما أحسن الجميل منها ، واسخف السخيف فيها ! ما أعظم سلطانها وأقوى نفوذها ! هي خير معبود تسجد له الامرأة العصرية المتمدنة وتخضع له خضوعاً أعمى · هي صارمة كالنظام الحربي ، فالنساء لا يجسرن عَلَى مخالفتها ، وان كنَّ لم يحلفنَ لها يمين الطاعة ·

اصبحت الازياء النسائية وبالدارج « الموضة » — قسماً من حياتنا الاجتماعية لا غنى لنا عنه في هذه الايام ، واصبح المرء يشعر بسلطان « الموضة » بكل حواسه ، فهو يراها أنى سار — في الشوارع ، في البيوت ، في نوافذ الحوانيت ، واذا اصغى الى حديث النساء اينما كان وجد اكثره يتعلق « بالموضة » ووصاياها ومحدثاتها · فهذه تقول « تلك الموضة قد بطلت » وتلك تقول « هذه موضة دارجة اليوم · الكل يلبسونها » — ومتى قيل « الكل » فاعلم ان هذه الكلمة سحرية يخضع لها جمهور النساء دون معارضة — والاخرى تحدث رفيقاتها بما لبسته هند في الحفلة ، وما اظهرته سعاد من قلة الذوق بلبسها ثياباً من زي السنة الماضية ، وما اقتبسته دعد عن الازياء الاخيرة في باريس ، وما اشبه ···

للموضة تاريخ يرافق تاريخ العمران ، فهو يبتدىء باوراق التين في الفردوس وبجلود الحيوانات في العصر الصوّاني ويتدرج مع تقدم الانسان في معارج التمدن متنوعاً بازيائه الغريبة ، المدهشة في بعض احوالها ، المضحكة في بعض اطوارها ، السخيفة في بعض مناظرها · من هذه المناظر الاخيرة ان « الموضة » في بعض العصور كانت ان تعلق الامرأة في عنقها قلادة من الاجراس الصغيرة وتلبس ثوباً يتدلى اسفل اكمامه الى الارض ، فكانت اذا مشت دقت الاجراس وكنست اكمامها الارض · وفي عصر آخر كانت « موضة » الرأس ان يزان بضفائر موءلفة من الشريط النحاسي وشعر الخيل عَلَى اشكال شتى ، فكانت النساء يتخطرن وعَلَى روءوسهن شبه قوارب وزنابيل وقصاع من شعور البراذين ·

قبل الثورة الافرنسية لم تكن « الموضة » تتغير الا قليلاً وذلك مرة كل مائة عام · فلما سقطت الملكية في فرنسا حدث انقلاب عظيم في « الموضة » شبيه بالانقلاب السياسي ، فتمردت النساء عَلَى الازياء القديمة وطرحن الفساطين المقببة وأطرها والرفادات والحشايا واستبدلنها بالاثواب اليونانية ، ثم أخذن يتجردن شيئاً فشيئاً فابدلن الاقمشة الغليظة باقمشة رفيعة النسج ونبذن كل ما لا لزوم له من الملابس وبرزن للناس في غلائل شفافة تضاف اليها احياناً عمامة من الشال الكشميري يزدان بها الرأس · وهذا الزي الاخير (اي العمامة) جاء به نابوليون من مصر مع انواع الشال الشرقي فكان لها رواج عظيم في فرنسا · وصارت النساء عَلَى ما وصفنا ، يجلن في الشوارع

متعممات كالاعراب ، شبه عاريات حتى ان الناظر اليهن يخالهن جالسات في الحمام ·

وعمّ حينئذٍ ظهور النساء في الحفلات الرسمية بالاثواب اليونانية والاردية المطرزة الرومانية والاحذية اليونانية التي اطلقت الرجل من قيود الاحذية الضيقة · عَلَى ان هذه الحرية في الملابس لم تدم بل ما لبثت ان عقبها دور ارتجاع عاد بالأزياء الى طور التضييق عَلَى الاجسام وتقييد الحركات بكل ما هو سخيف وغير ملائم ·

ومن الممكن ان هذا التغيير السريع نتج عن تجاوز كثير من السيدات حدّ اللياقة وفي طليعتهن فريق من مروجات الازياء وعابداتها · فهوءلاء كنّ يطرحن الحياء جانباً ويظهرن في المجتمعات والمتنزهات عاريات تقريباً لا يستر اجسامهن الا غلائل رفيعة ، مجردات كل ما يمكن تجريده من المعاري ·

هذا التطوح أثار اخيراً اشمئزاز الجمهور فأدى ذلك الى صدمة عادت بالازياء المطلقة الى الوراء وجاء دور ارتجاع عاد بالنساء الى تثقيل أجسامهن بما لا تقوى عَلَى حمله من الملابس · فلم يدم عهد الملابس المطلقة الخفيفة سوى اربعة اعوام بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٧٩٩

ودخلت في تلك الاثناء اشياء غريبة عَلَى الازياء · منها ما ادخلته جوزفين بوهارني قرينة نابوليون الخلاسية الاصل من ترصيع الثياب بكثير من الحجارة الكريمة ·

وهكذا تدرجت « الموضة » من الثياب النزرة التي لم تكن تكفي لستر جسم الامرأة الى الثيابّ الضافية الكثيرة · فزادت كمية القماش التي كانت السيدة تستعملها لثيابها · واضيفت رفارف عديدة الى الاثواب النسائية من المنطقة فنازلاً · ثم اخذ حجم الثياب يتسع في الاسفل حتى أعيد استعمال الفساطين المقببة بما فيها من الاطر الحديدية · وعمت القبعات الكبيرة فاشبهت بكبرها سقوف العربات · واصبحت الامرأة ضخمة المنظر واسعة الحجم بفضل ثيابها لا تسعها العربة ولا يستطيع احد مناجاتها بامر الا اذا سمعه كل الحاضرين ·

وكانت الامرأة تحتمل اثقال هذه الازياء السخيفة بصبر · فكانت تصبر عَلَى ثقل الاطر الحديدية الواسعة في الثياب المقببة دون تذمر ، بل لو قيل لها في تلك الايام أن تطرحها جانباً وتتخذ لها ثياباً كاثواب النساء اليوم لعدّت ذلك جنوناً ·

وما اكثر ما تحملته الامرأة لاجل « الموضة » في اوقات مختلفة ! فقد كان زمن به استعاضت عن شعرها الاصلي بشعور الخيل أو بشعر مستعار لا يُعلم أهو شعر ميت ، أو شعر انسان مصاب بداء وبيل معدٍ · وكان زمن به اتخذت لها ناصية كنواصي الخيل فأكسبت وجهها هيئة حيوانية · وأولعت في ازمنة شتى باستعمال المرافد المحشوة بالقطن أو بالشعر للاوراك احياناً وللبطن تارةً ، واتخذت الحشايا للجوانب والاكتاف · هذا ما عدا المشد الذي رافق الامرأة زمناً طويلاً في تاريخ ازيائها ولا يزال حتى الان

من اعظم آفاتها ·

تقلب المشد في تاريخه تقلبات شتى ، فكان حجمه يختلف حسبما تقتضي الازياء ، فكان طوراً يتضاءل حتى يصير منطقة صغيرة من المطاط قليل اضرارها بالجسم ، وتارة يعظم حتى يضغط عَلَى صدر الامرأة وخاصرتيها وبطنها فتشبه فارساً من فرسان العصور الوسطى المظلمة متسربلاً بالدروع الحديدية ·

بعد الفساطين المقببة اتجهت « الموضة » الى ما يعاكس ذلك ، فاخذت الفساطين النسائية تصغر حجماً حتى بلغت منذ عهد قريب منتهى الضيق عند الرجلين · فظلت الامرأة زمناً تمشي كأنها مقيدة · وبعد أن كانت تكنس الارض باذيالها لطول اثوابها صدر أمر « الموضة » بتقصيرها فكادت ان تبلغ حد الركب ·

والامرأة اليوم تضمر نفسها لتظهر نحيفة القد بحكم « الموضة » الدارجة · وما اكثر ما تعانيه الامرأة السمينة اليوم في هذا السبيل ، فهي لا تدع علاجاً دون ان تستعمله لتضعف ، وتواظب عَلَى الصوم وشرب المياه المعدنية والادوية المضرة · ومنتهى آمالها ان تصبح ضئيلة القامة كالقصبة التي تحركها الريح لتجاري رفيقاتها في مضمار « الموضة »

لاجل من تتحمل المرأة ما تتحمله في سبيل « الموضة » ? ولاجل من تتزين وتهندم ذاتها حسب وصايا الازياء الاخيرة ? قد تفعل ذلك لاجتذاب انظار الرجال اليها حين تتوخى ذلك · عَلَى ان الارجح انها تفعل ما تفعله

لان سواها من النسـاء يفعلنه ، لان « الكل » يمشين عَلَى جادة « الموضة » باندفاع واستسلام لا يدع سبيلاً لتحكيم الادراك ·

اما الرجال ولا سيما الازواج منهم ، فلا تهمهم « الموضة » الا من جهة واحدة — من جهة جيوبهم · فالموضة لا تبقي عَلَى دخلهم مهما كان كبيراً · وطالما قادت الامرأة المستسلمة الى « الموضة » زوجها الى الخراب · وطالما اضطر الزوج المسكين لاجل زوجته ان يقامر في البورصة او أن يخالف القوانين، فيقبل رشوة — مثلاً — اذا كان موظفاً في دوائر الحكومة ، أو يختلس اموال الشركة التي يخدمها ، وقد تدفعه الحال احياناً الى ارتكاب جريمة · ومن يعلم أن ثمن القبعة من الزي الاخير يكلف احياناً قيمة يستطيع المرء ان يشتري بها عربة بجوادها ، وأن المشد الجيد الذي لا بدَّ للامرأة منه ليضغط اعضاءها ويبرز محاسن قامتها يكلف الرجل راتبه الشهري ، وان ثمن فسطان من الازياء الاخيرة يعادل أجرة المنزل لا يعجب مما تقود اليه « الموضة » من النتائج السيئة ، الادبية والمادية ·

وماذا يستطيع الرجال فعله امام حكم « الموضة » الصارم ؟ هل لهم الا ان يذعنوا صاغرين معللين انفسهم باقتراب زمن تثور به النساء العاقلات عَلَى « الموضة » ويطرحنَ احكامها السخيفة ويتخلصنَ من تقلباتها السريعة ويقنعنَ بثياب موافقة للذوق والصحة لا تتغير اشكالها كل فصل أو كل عام · وربَّ كثيرين من الظرفاء المتزوجين يعاتبون البارىء لخلقه للامرأة جسماً غير مكسو بشعر كثيف يغنيها عن ازياء اللباس المختلفة ويغنيهم عن

الاهتمام بحساب الخياطة ولائحة بائع البرانيط ·

كثرت في الزمن الاخير الحركات النسائية ولا سيما في انكلترا واميركا حيث قامت الامرأة تطالب الرجل بحقوقها السياسية وتطلب اشراكها في التصويت ووظائف الحكومة ، وتريد نقض ما حكمت به عليها الاجيال السابقة من الخضوع · ولكننا في كل مطامح الامرأة المتهذبة لم نجد اثراً لمطمح التخلص من ربقة « الموضة » · فالامرأة تتطلب طرح نير العادات والشرائع السياسية عنها ولا تسعى لطرح نير الازياء · ونرى المترجلات الانكليزيات المطالبات بالتصويت يردن قلب نظام الحكومة ولكنهنَّ في الوقت عينه يلبسنَ بموجب « الموضة » ويخضعنَ لحكم الازياء الصـادرة عن رجال يديرون دفتها في باريس ·

ولزيادة الفائدة نختتم هذا البحث بحديث للمصور الشهير باكستن الذي كان لفنه تأثير شديد في عالم الازياء · قال —

« الازياء النسائية ، أو فن اللباس أمر ليس عرضياً أو مخترعاً بطريق الصدفة ، بل بعكس ذلك هو كباقي الفنون الجميلة أمر منطقي لا بدَّ منه · فالموضة لا يخترعها افراد ، بل تنشأ من تلقاء نفسها مدفوعة بروح العصر

قبل القرن التاسع عشر كانت الازياء تنمو وتتعاقب عَلَى طريقة منطقية دون رجوع الى القديم · غير انه في بدء القرن التاسع عشر نشأ الزي المعروف « بزي الامبراطورية » · وما هو سوى عودة الى الازياء القديمة · فظل مسيطراً نحو عشرين عاماً · ومنه تفرقت فيما بعدَ ازياء شتى معروفة بازياء

سنة الثلاثين والستين ·

ولما جآء القرن العشرون دخلت « الموضة » في طور اختلاط وهرج ومرج ، فاخذت الازياء تتبدل كل اربعة اعوام أو خمسة · وشعر الناس بحينونة زمن التطلب والتفتيش عن زي يوافق روح العصر ·

اما الان فعالم الازياء منقسم الى مذهبين — مذهب العودة الى القديم ، والمذهب الحديث · تؤيد الاول فرقة تذهب الى ارجاع الازياء القديمة الى الاستعمال ، فكأنهم بذلك يقرون بعجزهم عن اختراع شيء جديد ، وقد هموا منذ عهد قريب بارجاع الثياب المقببة · وهو امر سخيف ، لا يوافق الذوق ، يعترضه كثير من الصعوبات · وهل تستطيع السيدة المرتدية ثياباً من هذا النوع ان تشعر براحة في مركبات الترامواي او الاوتوموبيل · اما مناصرو المذهب الحديث فهم يسعون لايجاد ثياب ملائمة لروح العصر ، موافقة للذوق ، وأول شروطها ان تكون مريحة تسهل للابستها كل حركة كالركض والرقص والمشي والرياضة · وان ثياباً كهذه لضرورية تحتاجها امرأة هذا العصر — عصر الاوتوموبيل والطيارات ، ولا غنى للامرأة عنها ، ولا سيما بعد ان اصبحت تجاري الرجل في اشغاله ، وتدأب مثله عَلَى العمل لتحصل خبزها بعرق جبينها · أجل ان سيدات هذا العصر لفي حاجة الى ثياب لا تعيق حركاتهنَّ · وليس من يعارضني في ضرورة ايجاد هذه الثياب

اما لباس المستقبل فلست لاستطيع الجزم بما سوف تكون عليه · ولكني ارجح ان ثياب الامرأة والرجل ستكون في الآتي متشابهة · وسنعود من

هذا القبيل الى حيث أتينا · فكما كانت الثياب في عصر اليونان الاقدمين متشابهة للرجال والنساء ، كذا سيصير بنا في المستقبل · ومن يعش يرَ »

الريش الجميل يجعل الطائر جميلاً ·

(مثل قديم)

الجمال أحسن ما يكون لباسه اذا ابتزت عنه الملابس ·

(فلتشر)

لبسنَ الوشي لا متجملات ولكن كي يصنَّ به الجمالا
وضفرنَ الغدائر لا لحسن ولكن خفنَ في الشعرِ الضلالا

(المتنبي)

من الناس من يبيت عَلَى الطوى ويجوع أهله معه ليتمكن من تزيين ظهره باثواب فاخرة · ولله در من قال — ان الديباج والارجوان والمخمل تطفىء نار المطبخ ·

(بنيامين فرانكلن)





من انا

بقلم راغب متراج

***

انا نفحة من روح الله ، وقوة في كيان الوجود ·

الكون خُلق لاجلي ، وقوات العناصر خدامي ·

مددت يدي الى البرق فلجمته ، والى العناصر فركبتها ·

البخار جوادي ، والكهرباء مركبتي ·

الارض امي ، والله والدي ·

امدُّ يدي الى جوف الارض فاستخرج كنوزها ، وارفع نظري الى الكائنات فاكشف أسرارها ·

ابتسم فاملأ الارض خيرات وازهاراً ، واغضب فترتجف الارياح جزعاً · ارسل قذائفي عَلَى الارض فازعزعها وأفتت جوفها تفتيتاً · اتنفس ناراً ودخاناً فتحترق الاحراج وتيبس الحقول ·

يضيق صدري في الارض فامتطي الرياح وادوس الغيوم بقدمي هازئاً بالعواصف ·

أرسل صوتي في الاثير فتنقله الرياح الى اقاصي الارض

اسابق النسر في الهواء والحيتان في البحار ·

امدُّ يدي الى اللجة فاغتصب كنوزها وجواهرها المكنونة في جوفها ·

وابني القصور السابحة عَلَى ظهرها ، وانتزع القوت من احشائها ·

مطامعي لا حدَّ لها ، وآمالي اوسع من الكائنات ·

كل شيء صغير لدى قوَّتي · اما المستحيل فلا اعرفه ·

ارادتي لا مرد لها ، واقدامي سر النجاح ·

اقضي الاجيال مصارعاً الصعوبات ، مغامراً في الظلمات ، كاشفاً الاسرار ، معانداً الاقدار ·

المعرفة مطلبي والقوة مأربي · وما الحياة والموت عندي سوى فترة استريح بها من عناء الجهاد ·

انا جبَّار عَلَى وجه الارض ، وسيد في صدر الكائنات

انا قوة لا تُغلب · انا عاطفة لا تُحد · انا روح لا تفنى ·

انا الانسان !



صباح العيد

« بقلم توفيق حلال »

***

— اماه ! اماه ! انظري ، ما أجمل هذه الشوارع وانظفها واظرفها ! انظري جماهير الناس يسيرون بها مبتسمين ، جذلين ، والاولاد لاعبين ، فرحين . لا شك انهم كلهم شبعانون . انظري الى هذه السيدة عند الزاوية تقرع جرساً صغيراً والناس يلقون في قصعتها المعلّقة نقوداً بسخاء . انظري الى الغلمان محيطين بذلك الشيخ الشائب ذي الملابس الحمراء واللحية الطويلة ضاحكين وهو يقرع عَلَى مزهره — ألعل عندهم عرساً ؟ انظري ، ما اظرف هذه الكلاب وانظفها ! ها سيدة تحمل كلباً وقد ألبسته قميصاً من الصوف . انظري الحوانيت مملوءة خبزاً ومآكل متنوعة . انظري هذه الفواكه . ما احلاها ! تفاح ... برتقان ... عنب ... وكل الانواع ... أوّاه !

نطق بهذه الكلمات المتقطعة غلام لا يتجاوز العاشرة من سنيه وقد استوى في فراشه الحقير ماداً يديه المهزولتين المتشنجتين بحركات عصبية . عيناه جاحظتان تنظران في الفضاء ولا تريان شيئاً . وجهه قد جفّ ماؤه، فكاد ان يشابه وجوه الاموات لولا احمرار ناري في وجنتيه سببته الحمى . ثيابه البالية تشف عن جسم ضئيل واضلاع ناتئة لا يغطيها سوى جلد رقيق

يكاد ان يلصق بها . وشفتاه ناشفتان لونهما قريب من الازرقاق وهما تتحركان لا بقوة الحياة ، بل غضباً بنوبة هذيان أدت اليها الحمى

— « تقبرني ، يا عيوني . تقبر أمك » اضطجع يا ولدي ، لئلا تبرد .

قالت الام الحزينة هذه الكلمات وضمت ولدها الى صدرها ثم اضجعته عَلَى الفراش الخشن ودثرته ببقايا لحاف وبخرق من الثياب العتيقة

وبعد ان أغمض الغلام عينيه كأنه نائم . نظرت امه الى وجهه النحيل وقد عفّره غبار الموت . ثم تنهدت ورفعت عينيها نحو السماء ولم تقل شيئاً كأنها يئست حتى من السماء . ولم تذرف دمعة ، لان دموعها قد نفدت منذ زمان طويل . ولو نظر امرؤ الى افكارها لوجدها جامدة كأن ما مرّ عليها من الحوادث أوقف دورانها .

وما اكثر ما مرّ عليها ! دهمها الزمان بما لا تقوى امرأة ضعيفة عَلَى حمله . سيق زوجها الكهل الى الخدمة العسكرية فظلت وابنها بلا معين ولا معيل . وانقطعت عنها اخبار ابنها الشاب الموجود في اميركا ولم تدرِ لذلك سبباً فباتت تحسب انه اصيب بداهية . ونفد ما عندها من القوت والمال فاضطرت ان تبيع كل ما تملكه من حلى وامتعة واوانٍ لكي تقيت نفسها وولدها . وانقطع القوت عن القرية فاصبحت مع بقيـة السكان تكافح الجوع بغير سلاح وتنظر الى المستقبل بطرف مدلهم لا يرى بصيص أمل . وزاد في الطين بلة مرض ابنها الغلام بالحمى لالتهامه كل ما وقع في يده لاملاء معدته الفارغة اثرت في نفسها هذه الكوارث كلها فباتت تقضي ساعات برمتها دون

اتيان حركة ، جالسة في مكانها كالمذهولة .

ولم يطل سكوت الغلام ، بل انتفض فجأة كالقصبة في عناق العاصفة وهبّ جالساً في فراشه ، صارخاً باعلى صوته .

— امي ! امي ! انظري ، هوذا اخي جميل ... جميل ! جميل ...

— « اسم الصليب ... ولدي ... عيوني ... تقبرني . نم في فراشك يا حبيبي . »

واخذت الام ابنها بين ذراعيها ومددته عَلَى الفراش بصعوبة . ثم جلست بجانبه وامسكته لئلا يثب مرة أخرى . واخذت تلاطفه بحنوها قائلة

— نم يا ولدي . الله يفرجها . لا بدّ بعد الشدة من فرج . الرب لا ينسانا . نم يا حبيبي . لا عاشت الحمى .

ولكن الغلام لم يعِ ما قالته امه فعاد يتكلم بصوت مختنق ضعيف كأن النشطة الاخيرة ذهبت بما كان فيه من القوة .

— قلت لكِ هذا اخي جميل . انا اعلم انه جميل . فاني لا ازال اتذكره عندما سافر . انظري ، هوذا وديع ابن جارنا برفقته ومعهما ابن خالي نجيب . انظري ، ها هم قد دخلوا الى محل فيه مرايا كثيرة عَلَى الحيطان وصور معلقة وكاسات عَلَى الطاولات . امي ! ها هم يشربون عرقاً أحمر . اخ ! دفعوا الى صاحب المحل مجيديين من الفضة . اسمعي النقود ترن بجيوبهم . لا شك انهم اغنياء . امي ! اخي لا يراني اكلمه فلا يجيب . اتراه نسيني ؟

وصمت الغلام هنيهة كأنه ينتظر جواب سؤاله ثم رجع يتكلم همساً

كمن يخاطب نفسه

— امي ! ها هم قد دخلوا الى مطعم كبير فيه اناس كثيرون امامهم صحون مملوءة بالطعام يتصاعد البخار منها . جميل ، بعيشك اعطني زيتونة وكسرة من الخبز !

وهنا بلغ الغلام ما في فمه من المرارة ثم فتحه كأنه ينتظر لقمة . ثم قال بانكسار

— اماه ! أخي لا يراني . لم يسمع طلبي . اوّاه . انظري ! قد احضر لهم الخادم سلطة ولحماً مشوياً .

واستنشق الغلام الهواء بشدة حتى كاد بطنه يلصق بظهره كأنه يود ان يملأ جوفه برائحة الشواء . ثم تمتم بصوت يكاد ألاّ يسمع

— ليتهم يسمحون لي بلقمة واحدة .

شعرت الام ببعض الراحة بعد سكوت ابنها . وكانت كلماته كسهام محددة تخترق قلبها المتوجع ، فتتململ في مكانها كالطريدة الجريحة حين اقتراب كلاب الصياد منها . فاخذت تتلمس بيدها جبهته الملتهبة وخديه وعنقه كأنها تود ان تنقل الحمى منه اليها . غير أن راحتها لم تدم طويلاً ، بل عاد الغلام الى الهذيان للمرة الثالثة

— رز بحليب ... وقهوة ايضاً ... أمي ، لعلهم مثلنا لم يذوقوا الطعام من زمن . امي ، اسمعي . هم يقولون ان اللجنة سترسل الينا مالاً وطعاماً . اسمعي اخي جميلاً يقول — « كنت اود ان ارسل مالاً الى اهلي ولكني

لا أرى طريقاً مضمونة · واخاف ألاّ تصلهم القيمة بتمامها : ولا اظن ان الاشاعات التي نسمعها حقيقة · مجاعة وامراض وما شاكل — هذا كلام··» اسمعي الاخر يقول « انا ارسلت الى اللجنة ثلاثة ريالات ولكني لن افعل ذلك مرة أخرى لانهم لم ينشروا اسمي في الجرائد·» · والاخر يقول «اشكر الله لان اهلي كلهم هنا في المهجر فلا إهتم بأحد في الوطن » أمي ، اسمعي اخي جميلاً يقول لهم -- « دعونا من هذا الحديث وهيوا بنا الى المتنزه ! »

حاول الغلام ان ينهض ولكنه لضعفه لم يكد ان يرفع رأسه حتى هوى الى الوسادة · وكأن كل ما بقي له من القوة تألب واجتمع في صوته الذي كان حينئذٍ اشبه بصوت مجنون مقيد ثائر · فنادى صارخاً

— جميل ! جميل ! خذني معك · بحياتك · وديع ! ···

ولكن الام التاعسة وضعت يدها عَلَى فمه وقد تمزق فوءادها فلم تطق استماع بقية كلامه · وأخذت تتوسل اليه بصوت يعبر عن منتهى الشقاء ان ينام ويستريح ·

ارتخت يد الغلام الممدودة : وقال وقد خارت قواه بصوت ملوءه اليأس

— اماه ! قد ركبوا عربة كبيرة وذهبوا · لم يلتفت احد منهم اليَّ

سكت الغلام · وساد في الغرفة سكوت رهيب ووحشة مخيفة · فلم يُسمع بها سوى تنفس الغلام المشبه الزفير المتقطع وتنهدات الام المسكينة التي فطنت ان تلك الليلة هي ليلة عيد الميلاد · فجلست تتنفس الصعداء وتقابل ماضيها بحاضرها وتراقب ولدها النائم بعين الحذر والشفقة ·

ثم جثت قرب فراشه تتضرع الى صاحب العيد ان يمن بالفرج

· · · ·

٢

استيقظت الام في الصباح لا عَلَى رنين اجراس العيد لان يد الظلم القاسية محقت افراح العيد وحولت اجراسه المفرحة الى مدافع تدوي اصواتها وتفتك كراتها ، ولا عَلَى صياح الديوك في القرية او زقزقة العصافير عَلَى الاشجار لان الديوك ذبحت والعصافير هلكت جوعاً ، ولا عَلَى الحركة في الازقة لان القرية كانت كمقبرة لا أثر فيها للحياة ، بل عَلَى نور الشمس الداخل من النافذة — نور صباح عيد كان بهجاً فيما مضى ، وطالما فتح الناس اعينهم عليه قائلين — « المجد لله في العلا ، وعَلَى الارض السلام وفي الناس المسرة » مسارعين الى التنعم بملذات العيد وبهجاته · اما الان فلم يبق من افراح العيد سوى هذا النور الساطع عَلَى ارض صامتة مكسوة بالثلج · وهو نعمة لو قدرت بلايا الحرب عَلَى منعها عن البشر لفعلت ·

نظرت الام من النافذة الى الارض المتوشحة بسرابيل الصباح ولبثت في مكانها لا تقوى عَلَى الحركة لضعفها ولخوفها ان توقظ غلامها النائم · ولكنها ذعرت بعد حين اذ سمعت الباب يُقرع ، فلم تتحرك من مكانها كأنها لم تصدق سمعها ، أو حسبت انها لا تزال نائمة هائمة في عالم الاحلام ولكن القرع تكرر وسمعت من الخارج صوتاً موءنساً يقول — « المجد لله ! » فجمعت قواها ونهضت بسرعة غير مصدقة · ولم تجرأ عَلَى التقدم نحو الباب بل صرخت عن بعد بصوت ظنته عالياً ولكنه لم يكن سوى همس ضعيف

— مَن الطارق ؟

فاجابها الصوت من الخارج

— افتحي يا اختي ! لا تخافي · نحن من قبل جمعية الصليب الاحمر · وقد جئناكم بالمدد ·

وقفت الام مكانها كالصنم لا تحرك قدماً من الاندهال واختلطت افكارها الثائرة فاصبحت لا تدري اتوقظ ابنها وتبشره بالفرج ام تتقدم وتفتح الباب · واخيراً عوَّلت عَلَى الامر الثاني خوفاً من ان يتعب القوم من الانتظار او يطرأ عليهم ما يغير افكارهم فيذهبوا · فركضت الى الباب وفتحته بيد مرتجفة · فدخل الغرفة ثلاثة رجال ولا دخول المجوس الى المغارة يحملون صرراً صغيرة وسلة فيها بضعة ارغفة وعلباً من الطعام المحفوظ · فلما وقع نظر الام عَلَى السلة اختطفت منها رغيفاً وسبقتهم الى حيث كان الغلام النائم صائحة كالمجنونة رافعة الرغيف فوق رأسها

— ولدي ! انظر · خبز ! خبز ! قم كل · لا عاش الجوع · قم يا حبيبي

ترقرقت الدموع في عيني مندوبي الصليب الاحمر لتأثرهم من حركات الامرأة وصوتها رغم تعودهم مشاهدة الشقآء وفواجعه اينما ذهبوا · فتقدموا في اثرها نحو فراش ابنها فوجدوها مكبة فوق الغلام تخاطب نفسها قائلة

— عجباً ! لا يزال نائماً · الافضل ألاَّ اوقظه · دعوه يسترح

فتفرس احدهم في الغلام النائم · ثم سأل الام بضعة اسئلة عن مرضه واقترب من مضجعه وانحنى فوقه مستفحصاً وجسَّ نبضه ثم وضع اذنه عَلَى

صدره ووقف جامداً مطرقاً لا يجسر عَلَى النطق · فاقتربت منه الام وسألته بصوت مرتجف

— هل يشفى قريباً ، يا سيدي ؟

فلم يجب الطبيب بشيء بل نظر الى رفاقه نظرة مبهمة · فتقدمت الام نحوه واعادت عليه الكرة بلهجة الالحاح

— رحماك ، يا سيدي · قل لي — متى يستطيع غلامي مغادرة الفراش؟

فهزَّ الطبيب رأسه واجاب بحزن ·

— يا اختي ، ان ابنكِ لن يقوم · قد مات منذ الصباح · مات واستراح · فتدرعي بالصبر · وسلمي امركِ الى الله

جمدت الام كالمصعوقة · لم تولول ، ولم يملأ صياحها القرية ، ولم تنتف شعرها ، وتلطم وجهها ، وتمزق ثيابها ، ولم تذرف دمعة ، بل لبثت تقلب عينيها المتسعتين المملوءتين هولاً والاماً لا تحد بين زوَّارها وبين جثة الغلام وأخذت تهذي بصوت ضعيف وعلامات الجنون تسري في عضلات وجهها ·

— مات ··· ؟ من قال انه مات ؟ ولدي ! ··· اليوم عيد ··· قم كل يا ولدي ! ··· المجد لله في العلا ··· وعَلَى الارض السلام ؟ هوذا خبز وثياب لي ولك ··· وفي الناس المسرة ! ··· قه قه قه ··· مات ؟ لا ، ما مات ، مات العيد ···

· · ·

بعد ايام طرقت باب الغرفة جارة مسنة جاءت لتتفقد حالة الام المسكينة. ولما لم يكن مجيب دفعت الباب وفتحته عنوة ودخلت ، فوجدتها ملقاة على الارض لا حراك بها ، وعيناها جامدتان تنظران بهول صامت قاس نحو السماء ، وباحدى يديها قنباز غلامها الميت وبالاخرى صورة ابنها المسافر ، وامامها ارغفة الخبز وعلب الطعام مصفوفة لم تمس .



الشباب يذبل ، والحب يضعف ، واوراق الصداقة تسقط ، ولكن حنان الام يبقى نضراً . (هولمز)

حكمة النساء في ولادة الاولاد وتربيتهم . (تنيسون)

حسن أن تموت لاجل وطنك ، ولكن الاحسن ان تحيا لاجله .

(مونتالمبرت)

الانسانية فوق سائر الامم . (افلاطون)

ترنيمة السرير

* * *

ظلام الويل قد جنّا | وبوق الهم قد رنّا
فنم يا طفل ، لا يهنا | غنيٌّ باتَ شبعانا

قتام اليأس غطانا | فنم ، لا عينَ ترعانا
اذا ما صبحنا حانا | حسبنا الصبح اكفانا

الا يا همّ ، يكفينا | لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا | أكلنا بعضَ بلوانا

بكى طفلي وما ناما | وقضّى العمرَ صوّاما
جنى الاباء آثاما | عليها الله جازانا

بكى طفلي فلا يرضع   ثدياً درّها المدمع
نضا دمعي ولم يشبع   وكان الدمع طوفانا

. . . .

ظلام الليل قد أطفا   نجوماً تجذب الطرفا
فما للطفل لا يغفى   أيبغي اليوم ألجانا ؟

من الالحان لا أدري   سوى انشودة الصبر
أغنّيها من القهرِ   لطفلٍ باتَ جوعانا

ملاك الرب في الحلمِ   يناجي الطفلَ كالأمِ
يناديه من النجمِ   ألا نم ! وقتنا خانا

يناجيه بأيامٍ   ستأتي ، خيرها طامٍ
سيروي ماوءها الظامي   ويشفي النور عميانا

ويهديه الى قطرٍ   كثير النور والزهرِ
ويأويه الى قصرٍ   فيغدو الطفل سلطانا

فيوءتى بالذي يرغب   من المأكول والمشرب
فيبقي منهما الاطيب   لأمٍ صبرها خانا

. . . .

أصوتي ذاك قد غنى ؟   أقلبي ذاك قد أنّا ؟
كفى ندباً ، كفى حزناً !   فقلب الطفل ما لانا

هزيزُ الريح ما يسمع   وندب الروح ما أسمع
كلانا منصت يخشع   الى الاصوات حيرانا

ظلام الليل قد اطبق   فنم يا طفل لا تقلق
يعود النور والرونق   اذا ما الله أبقانا

أليف



هنريك سنكيفتش

HENRYK SIENKIEWICZ

***

مات هنريك سنكيفتش . قضى اعظم متفنن بولندي . مات من كان يمثل الروح البولندية امام الرأي العام ، ومن كانت تعقد عليه آمال مواطنيه

اكثر قراء العربية يجهلون من هو سنكيفتش ، فان كتبه العديدة لم تنقل اليها . وما اقل الذين قرأوا منا موءلفاته أو بعضها باللغات الاجنبية وما ذلك الا لكساد الاداب الصحيحة في اللغة العربية ، ولاقبال القوم عَلَى سخيف الروايات الزقاقية ، ولجعل اكثر الكتاب اقلامهم وقفاً عَلَى الخسيس من الكلام ، ولاحجام المعربين عن نقل الموءلفات الجليلة كروايات سنكيفتش خوفاً من ضياع اوقاتهم الثمينة ، فهم يصرفونها عوض ذلك في تعريب روايات « كاللص الشريف » و « نقولا كارتر » و « روكامبول » وما شاكل

فلكي نعرفه الى قراء العربية يكفي ان نقول انه من كبار المتفننين في عالم الادب . كان اعظم كاتب بولندي واشهر موءلف للروايات التاريخية . وسيذكره تاريخ الادب في مصاف اعظم الكتـاب . بموءلفاته اكتسبت الاداب البولندية ، بل آداب العالم أجمع غنىً وافراً وجمالاً خالداً نادر المثال .

ولد سنكيفتش سنة ١٨٤٦ في مزرعة اوكريسكا في عائلة قديمة عريقة النسب ، اصلها من ليثوانيا . وتعلم دروسه الاولية في مدرسة القرية . ولما بلغ السادسة عشرة من سنيه غادر مسقط رأسه الى وارسو فدخل فيها مدرسة الجمنازيوم ثم تخطاها الى جامعة وارسو فانهى دروسها .

وكان جو وارسو لما قدمهـا سنكيفتش متلبداً بغيوم الثورة اذ كان البولنديون يستعدون لثورة سنة ١٨٦٣ التي كانت سيئته العواقب . فاختلج قلب الشاب هنريك بحب الحرية مع قلوب مواطنيه وشاركهم في هذه الحركة بعض المشاركة عملاً عَلَى تحرير بولندا . ولما اخفق المسعى انصرف الى الكتابة

دخل سنكيفتش ميدان الجهاد الادبي في زمن كانت به الفئة المتهذبة من البولنديين مهتمة بالمبادىء الشعبية ، ومنها السعي لتأليف جمعيـات للعمال ، ونشر المعارف بين العامة وافادتها . فقدَّم صاحب الترجمة ما عليه من الواجب نحو هذه الحركة الادبية في شكل قصص وابحاث كتبها ظهرت فيها موهبته الكتابية ايما ظهور فاقبل عليها القراء من الجمهور وأقرَّ له عالم الادب بانه كاتب لا يبارى . عَلَى ان مواطنيه لم يظهروا اعجابهم الفائق به ولم يعبدوه عبادة الصنم الا بعد ان صدرت رواياته التاريخية الثلاث المتسلسلة الشهيرة « بالنار والسيف » — وهي اعظم ما كتبه — و « الطوفان» و « پان ڤولوديفسكي » . في هذه الروايات نفخ سنكيفتش روحاً حية في انقاض بولندا وابدع جسماً ودماً لكل ما يفاخر به البولنديون ويعتزون به من تذكارات ماضيهم المجيد . فجسَّم لهم قوة بولندا القديمة وامجادها

وجهادها فاصبح معظماً عزيز القدر عند مواطنيه لما أحياه لهم من ماضيهم في وقت يئسوا به من مستقبل حسن ·

أثرت كتابات سنكيفتش في شعبه أشد التأثير فهاجت فيهم شعوراً وطنياً أدى الى عصر يقظة ونهضة عرف به الشعب البولندي قدر نفسه وعاد عَلَى الموءلف بالمجد والفخار والاكرام من قومه الذين أعلوا قدره وعدوه زعيماً لهم · فعرف في اوربا برجل بولندا وطار صيته فيها واصبحت كلمته يرن صداها من قطر الى قطر فتسمعها الشعوب ويحترمونها ككلمة صادرة عن امة لا عن فرد · وترجمت موءلفاته الى كل اللغات الاوربية فصادفت رواجاً باهراً ولا سيما روايته المدعوة « كوفادس » أي « أين ذاهب » فقد بيع منها وحدها ما ينوف عَلَى مليون نسخة · أما موضوع هذه الرواية فتاريخي ديني · ووقائعها مأخوذة من ايام الاضطهادات المسيحية عَلَى زمن نيرون الامبراطور الروماني · ومما يروى بصددها ان الموءلف كان ينشرها تباعاً في احدى جرائد وارسو · فلما وصل فيها الى حيث القي القبض عَلَى « ليجيا » بطلة الرواية أحدث هذا الامر تأثيراً سيئاً في شعور الاوانس البولنديات · فارسلن الى الموءلف وفداً يرجونه ألاَّ يدع البطلة تموت في السجن · وقالت له احداهن مسترحمة — المسألة بسيطة ، يا سيدي · وهي أن تجد لها سبيلاً للهرب · مثلاً — ان تكتب الى حبيبها رسالة وتعلمه بحالها فيأتي وينقذها · فابتسم سنكيفتش وطلب الى الانسة المتكلمة ان توءلف الرسالة بنفسها وترسلها اليه لينظر في امرها · فكان انه تناول من البريد بعد ايام



✵ هنريك سنكيفتش ✵

رسالة هذه نصها —

« عزيزتي ليجيا ! كان يجب عليك ، عَلَى ما يلوح لي ، ان تكتبي رسالة الى ڤينيسيوس ، ولكن مرضك أضعف قواك الانشائية · فاكتبي اذن رسالة بسيطة الى المدعو هنريك سنكيفتش القاطن وارسو بعدك باجيال · فاني واثقة من انه سيدبر امرك دون عناء اذا رجوته بلطف · وحينئذٍ لا تبقى لك حاجة الى مكاتبة سواه · اعانقك بشوق · والسلام عليك من محبتك ... »

ومن اعمال سنكيفتش انه خطر له سنة ١٨٧٧ ان يسعى لتحقيق فكرة جالت في عقول كثيرين قبله من الحكماء والشعراء · وهو تأسيس « أوتوپيا » اي بلاد سعيدة محفوفة بالرغد والحرية والمساواة شبيهة بالفردوس · فجاء الولايات المتحدة لعلمه انها البلاد الوحيدة التي تسهل له تحقيق امنيته · فأسس مستعمرة صغيرة لهذا الغرض قرب مدينة لوس انجلس في كاليفورنيا فكانت انموذجاً صغيراً للفكر الكبير الذي توخاه ، ولكنه أخفق في الاخير كما أخفق سواه قبله وخلت المستعمرة ·

وقد نال سنكيفتش جائزة نوبل في الاداب لعام ١٩٠٥ وعين عضواً شرفياً في مجمع العلوم الروسي وهو شرف قلما يحلم رجل بولندي بنيله

ومما يذكر من اعماله الوطنية وقفته في وجه الامبراطور غليوم الالماني وكتابته ذلك الكتاب المفتوح اليه محتجاً فيه عَلَى ما كانت بروسيا تأتيه من المظالم والقسوة في معاملة البولنديين · فكان لعمله هذا ضجيج استحسان اثار الرأي العام في اوربا عَلَى بروسيا ·

ولما اتقدت نار الحرب الحالية واكتسحت بنكبتها العظمى بلاده هبَّ لتخفيف ويلاتها وجبر ما صدعته · واضطرَّ ان يهجر بلاده بعد ان سجن واضطهد في كراكوف بايدي التوتونيين · فجآء سويسرا وألف هنالك لجنة مركزية لاسعاف منكوبي بولندا فصار لها فروع شتى أهمها في الولايات المتحدة · وظلَّ عَلَى رئاستها يدأب مكرساً كل وقته وقواه لمساعدة وطنه المنكوب غير متداخل بشوءون السياسة مترقباً زوال الغيوم المظلمة عن جو بولندا حتى مات في ڤيڤاي — سويسرا — في السابع عشر من تشرين الثاني وله من العمر ٧١ عاماً ·

لسنكيفتش موءلفات عديدة أهمها ما ذكرناها سابقاً ويليها في الاهمية « فرسان الصليب » و « آل پولانيتسكي » وهما روايتــان تاريخيتان · و « بلا عقيدة » وهي رواية اجتماعية · ورواية « في الصحراء » و « القصص الاميركية » ·

وقد شعر الشعب البولندي بفداحة ما اصابه من الخسارة بفقد سنكيفتش فلبس الحداد حزناً باكياً فيه الكاتب القدير والزعيم الجسور والوطني الحر

ليمسك احدنا بيد الاخر ولنقدم بشجاعة ولو عَلَى الهلاك لنهيء للاجيال الاتية حياة سعيدة حرة نقية · (كوپرين)

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

بقلم

امين الريحاني

— ملخص ما نشر سابقاً —

مريم ابنة الراعية ساره من الراهب ايلياس البلان هربت من دير الايتام في الناصره لما قاسته من الاضطهاد ولجأت الى القس جبرائيل مبارك فوضعها تحت رعايته وهو صديق قديم لامها وادخلها بيت اخيه جرجي مبارك للخدمة · وهنالك هام بها عارف مبارك ابن صاحب المنزل فطغاها ووعدها بالزيجة · وقدم المنزل ابن عمه ايوب مبارك ضيفاً فاعجب بحسن مريم فقصد غرفتها ليلا ليطارحها الغرام ففاجأه عارف وقتله غيرة وهرب·

تابع ما قبله

فقالت الست هند — اسرعي اسرعي وقولي لعارف ان يرجع حالاً لا لزوم للطبيب ·

فخرجت لطيفة وهي لا تدري ما تصنع ·

وبعد نصف ساعة وصل الى بيت يوسف افندي مبارك ثلاثة من رجال الشحنة فدلتهم الست هند عَلَى الجثة وفتحت لهم الغرفة المحبوسة فيها مريم

· · ·

الفصل السادس

من ارهب مشاهد الدنيا واكملها في الساميات والسافلات معاً مشهد في بلادنا تتناهى عنده اغرب الصفات الطبيعية والسماوية والبشرية · مشهد منقطع النظير منحصر في بقعة من الارض صغيرة يجمع بين ما تداني من اطرافها اكبر المتناقضات في مظاهر الوجود ، من اغوار وانجاد ، ومن نيران تشتعل تحت الينابيع ، وثلوج تذوب فوق الجبال ، ومن مجد قدسه التاريخ وقداسة دنسها الانسا ، ومن الهيات في انوار الطبيعة تتهادى ومعرّات تعتس في ظلمات البشر · الا فان هناك درجات للنشوء والانحطاط في الطبيعة وفي النفس ، اولها مثل آخرها بادٍ للعيان · بل هناك هيكل أشعلت فيه مشاعل الحقائق الروحية وصفرت فيه رياح الاضاليل · سُمعت فيه كلمات الله ، وسُمعت فيه قهقهة ابليس · فتجسدت الاولى في الطلول والاثار · واستحالت الثانية مدناً واديانا وحكومات ·

الا في سبيل الله جمالك ، ايتها البحيرة الزرقاء العين ، الذهبية الجبين ، الفضية الجوانب ، الباسطة اذيالها تحت رجل طبرية الموحلة السوداء ، المستظلة في ظلال الجبال الخضراء والبيضاء ، الكامنة في قلبها البراكين ، الزاهرة عَلَى صفاتها الدفلى والفل والخزام ، الشاخص اليها « الهرمل » وقد اعتم بالثلج وتسربل بالغيوم ، المدفون حولها المجد والصلاح ، وقد حجب الشوك ضريحهما وحتى فوقهما الشوكران · عروس الاردن هي تأخذ منه وتعطيه ، فتستحيل الشريعة فيها حباً ، والناموس جمالاً · فيها يبتدىء سلم الطبيعة وسلم النفس ،

وفوقها درجات لتاريخ الارض تقارن درجات في تاريخ الانسان ، فدرجات في اغوار الحياة وحياة الاحزان ، اكثرها حزناً وابعدها سراً تلك التي وقف عليها برهة اطهر البشر نفساً واقدسهم كلمة · ثم ولى كما ولت آلهة الزمان فنصب من ذكراه القدوس خيال يحجبه عن آل عثمان ؛ مجد الرومان · وان زهرة الشقيق التي كوّنت من دمه لتقف نائحة كل ربيع بين دخان الوثنية وشرر الاسلام ·

ومن ابعد الرموز الطبيعية معنى واحبها صوتاً تلك الينابيع الحامية التي تذوب فيها احقاد الارض ملحاً وكبريتاً فتحملها المياه مرقرقة مسرعة الى البحيرة الحلوة الفم المثلجة الفوءاد · وهذه في اعماق الارض حقيقة الحياة الرائعة · تغلي الضغائن في صدور الناس ملحاً وكبريتاً فتلقى في قلب البحيرة بحيرة الابدية بل بحيرة المسيحية صفاءً وعذوبة وبرداً وسلاماً

وان البحيرة التي كتب عَلَى مائها اغرب ما في التاريخ — تاريخ الطبيعة وتاريخ الانسان — من الامال والاحلام ، وأعلنت حولها اقدس الانبياء السماوية والبشرية لم تزل تجتذب اليها من كل حدب وصوب جماهير الناس من مرضى النفوس والابدان · فتريهم أعجوبة الله في سمائها واعجوبة الطبيعة في ارضها · يجيئها الحجاج فيغتسلون بمائها المقدس تطهيراً للنفس ويوءمها أولو الاسقام تخفيفاً لاآلامهم واستشفاء منها · كبريت في تلك المياه يشفي الابدان وحلاوة فيها تشفي النفوس · وهذه من اعاجيب بحيرة الجليل وينابيعها ·

ولكن المقيمين في جوارها لا ينالهم من بركاتها مثقال ذرة · ذلك لانهم يعبدون خيالاً ولا يعرفون جمالاً · وانشقاءً هم فيه -- شقآء لا مثيل له في العالم — لا في الجهة الجنوبية بلندن او بنيويورك ولا بغيرهما — شقآء يفترش الاقذار ويلتحف الخمول ويشكر الله — ان مثل ذا الشقآء ليبعث الى الكفر بالله · يهود طبريا اتفسد حالتهم اسمى الحقائق الروحية التي أنزلت في تلك الارض ارضهم ؟ أيقيمون عند ينابيع العجائب ويحرمون بركاتها ؟ أمرضى النفوس والعقول والابدان وفي مهد الشرائع الموسوية والمسيحية ؟ عَلَى ان صاحب البيت ادرى بالذي فيه · ولعلهم ادركوا الحقيقة التي قلما يدركها من زار تلك الديار فسخروا من بني الايمان وذوي الاسقام اللاجئين اليها · وهؤلاء بالنسبة الى الحجاج قليلون ، ولا غرو ، فالاستحمام في المياه المقدسة يعظم فضله بالمشقات · واذا قضى المستحم نحبه فيها فهناك النعيم الاكبر · اما الحمامات المعدنية حمامات طبرية ففضلها لو علم الناس اعم لان مشقتها اكبر واشد · ولا عجب اذا أجهز عَلَى المريض فيها ولا بأس · فان في الاجهاز تمام الشفآء · فهنيئاً لمن يؤمها ! وهنيئاً لمن يموت فيها ! ان الصابر عَلَى حمام اكبريتي حام لكالصابر عَلَى ما في الحياة من النار والكبريت ، والصبر باب الجنة · عَلَى ان السكينة هنالك ، والبعد عن الناس ، وجمال الطبيعة ولطف الهواء لتحول نوعاً دون الاستشهاد · فتفعل بالنفس وبالتالي بالالام الجسدية ما لا تفعله المياه ·

قلنا البعد عن الناس وقد يُستغرب ذلك ، لان الحمامات المعدنية في

اوروبا اصبحت اليوم مشرعة الاصحآء ومحجة الاغنيآء والادعيآء فيجتمعون هناك كما يجتمعون في حلقة السباق سباق الخيل او في الاوبرا او في القهاوي ليعرضوا نعيماً هم فيه · او ليبحثوا عن نعيم لا حجّاب في بابه ولا حرج عَلَى اصحابه · فيعجبون بعضهم ببعض ، ويفاخرون ويزعجون بعضهم بعضاً · اما في طبرية فلا يجد الزائر حتى في ابان الموسم · نعيماً واحداً معروضاً اذا استثنينا نعيم الاستشهاد · ليس هناك من يزعج النفس او من يقلق البال · فالمستحمون والعمال اذا اضفنا اليهم صاحب القهوة والامرأة الوحيدة التي تتردد اليها لا يتجاوزون الخمسين عداً ·

والضجر في الحمامات المعدنية من انجع الادوية للمصابين بالروماتزم — عفواً ايها الاستاذ — للمصابين بالدحار · فان له رد فعل مدهشاً · الضجر « حرّاقة » روحية اذا استعملها المريض عشرين يوماً يرى العجب · ولكنها لا تفيد بعد ذلك الا اذا كُررت في حمام آخر · وكل ما يصرف النفس عنها يضعف مفعولها · فمن يرغب بالاركيلة مثلاً ويرتاح الى حديث القهوة — وفي حمام طبريا قهوة واحدة كما قلنا وامرأة واحدة تتردد اليها — فلا يضجر تمام الضجر ولا يشفى تمام الشفآء ·

. . .

— وهذا القسيس يا محمود من اغرب الناس · يعطيني كل يوم بشلكاً لاجدد له المآء في الحوض صباح مسآء · فما قولك ·

— بخيل · ولكنه اكرم من اخوانه ·

— وماذا تظنني افعل ؟ ادخل الى الحمام فاقفل الباب وادخن سيكارتي واغني « يا رائحة عالشام خذيني معاكِ » ثم ادعوه — تفضل يا محترم

— وهل هذا حلالٌ يا احمد ·

— حلال ! ؟ المياه الكبريتية تطهر كل شيء · وهل هو افضل من سواه · هذا الحوض العمومي يستحم فيه خمسون نفساً من اصحاب السوالف في وقت واحد ولا تجدد مياهه الا مرة واحدة في الاسبوع · وقد سمعت الحكيم يقول ان المياه المعدنية اذا استحمَّ بها عدد من الناس تزداد المعادن فيها وتكثر منافعها · صلِ علَى النبي · ويظهر ان اليهود يفهمون ذلك · فما مرة سألني يهودي ان اغير له الماَء — اركيله يا طنوس — ولكن القسيس ابن حرام ! فقد احس بالطبخة · فنزل البارح ووقف في الحمام امامي فنزعت ثيابي والله وغطست فصاح بي — يا بليد يا حمار (الابعد) هات « خيط مصيص » فجئته به فربط السداد بالخيط وربط الخيط بوتد دقه الى حافة الحوض · فصحت وانا متظاهر بالجهل ومعجب بشطارته — والله يا محترم نحن اغبياء ما عندنا فكر · وصرت كل يوم اجدد لك المياه اي ساعة شئت ولا اسلق حالي كل مرة واعرض نفسي بعدئذٍ للشمالي ابي الموت

— اذاً القسيس نفعك ·

— نفعني ؟ وانت ابسط منه · من يدفع بشلكاً لاجدد له المياه حين يرى ان ذلك لا يكلفني غير سحب الخيط ؟ وهذا الابن الحرام قطع عني البشلك بعد هذه العملية · نزل هو بنفسه البارح ورفع السداد ونزلت انا

صباح اليوم وقطعت الخيط · ما شاءالله أيغلبني قسيس افندي ؟

— ومن اين هذا القسيس ؟

— لا اعلم والله · فهو قلما يكلم احداً · ولا احد يعرف اسمه — أعطنا قدحين عرق يا طنوس واكثر من المازا

— وغير هذه الاركيلة · زبوني « ابوالسلة » يا محمود · احسن من زبونك · فقد سافر معي البارح الى تلحوم · وفلق رأسي بالسوءالات · ولكنه يخوف والله · حكيت له حكايات تطقطق الخواصر فما ضحك وما ابتسم مرة والله · وقد حرت في امره اراه لابساً لبس البدو ولهجته لهجة نصراني من بلادنا · بالك ها هو ·

ومرَّ اذ ذاك رجل في زي الاعراب طويل القامة نحيلها اشقر اللحية قطوب الوجه يلبس عباءة سوداء بسيطة وكوفية من لونها شدت علَى رأسه حتى عينيه بعقال من الشعر

— يروح الى البلد ماشياً وما هو بخيل والله · اعطاني ثلاث مجيديات البارح اجرة السفرة والسواح الافرنج يلعن جدودهم لايدفعون ثلاث مجيديات الى تلحوم · واظنه يمشي الى البلد كي لا يخالط الناس في العربة فهو ايضاً قلما يكلم احداً

— محظيون السنة بالخرس · اهلاً بهيلانة

ودخلت اذ ذاك القهوة فتاة تلاوص وتتغنج وهي قصيرة القد غليظة الجوانب وسيمة الوجه مخضبة مكحلة مبهرجة فبادرها احمد بالكلام قائلاً ·

يا بنت الحرام اين كنتِ الليلة البارحة . هذه النطنطة لا تعجبنا ابداً . فاما ان تقيمي في المدينة واما عندنا في الحمامات

— اسمعوا اخبركم ما جرى. كنت راجعة الى هنا مساء البارح فاستوقفني في الطريق احد البوليس وقال — ما قولك بليلة نقضيها انا واياكِ في السجن. امشي . امشي . فترددت فهمس في اذني كلمات دغدغت قلبي . فسرت واياه . وهو مثل القمر . وليس مثلك يخوف القرود . ولما وصلنا الى دائرة البوليس حبسني في غرفة هناك ووعدني ان يرجع اليَّ بعد ساعتين . عشقته والله . وأخذت اعلل النفس بقرب الاجتماع . فجاء بعد ساعتين يقول « اتبعيني . فمشيت طائعة فادخلني داراً ثم اخرجني منه ثم فتح باباً في بيت قريب من الدائرة وقال ادخلي فدخلت فاقفل الباب وتركني وحدي فاذا انا بغرفة مفروشة بالسجاد وفيها سرير له قبة حمراء ومائدة ممدودة عليها الدجاج المحمر والارز المفلفل والمحاشي والسمك . وعرق من احسن ما شربت في حياتي ونقل فاخر . فقلت في نفسي . الله كريم . ليلة حظ هذه . وقلبي مشغول بالشاب وعيني مشغولة بالمائدة . ولبثت انتظره واغني « يا عيني انا الصابر عَلَى نار» واذا بالباب انفتح ووقف فيه شخص وجهه مثل الصاج المقدح ورأسه كرأس الثور وعيناه كعيني السعدان . فسقط قلبي من الخوف وذاب الكحل في عيني من الكمد . كلمني الغزال وسلمني الى الدب

— يا بنت الحرام كنت عند مدير البوليس

— يلعن سحنته ما اعطاني ولا باره

— تستأهلي اكثر من هذا . مليح . سامحناك . هات عرق لهيلانه يا طنوس . سألني عنك القسيس الليلة البارحة

— بالله ؟— ماية قسيس ولا مدير البوليس

— ولكن القسيس هذا يريد ان تسافري معه . وحياة النبي . سألني البارح قائلاً — يا ابني ومن هذه الفتاة التي تظل عندكم في القهوة فقلت— والله يا محترم هي الدجاجة الوحيدة بيننا اتحلسنا عليها . فزجرني ابن الحرام وقال انه سيكتب الى القائمقام لينفيك من هنا

— يلعن لحيته هو والقائمقام ومدير البوليس مثل رجلي . وهل رأيت « ابو السلة » صبحته فما رد عليَّ . وغمزته فلم يلتفت اليَّ . « ابو السلة » حلو . مثل القمر والله . وتنهدت هيلانة ثم قالت —

الله ابتلاني بكم . سليلة القرود . ثم تنهدت ثم قالت كأنها تخاطب نفسها — اصطادني الغزال وسلمني الى الدب . وهذه عيشتنا . يفرجنا ربنا علية البقلاوه ويعطينا . يا طنوس ! قنينة العرق .

﴿الفصل السابع﴾

في فصل الشتاء من تلك السنة · بعد ان أصيب بيت مبارك بتلك الفاجعة التي ألبستهم الحداد والعار جاء قسيس الى طبريا ليستحم بمياهها المعدنية · فاستأجر غرفة فوق الحمامات فريدة في بابها · ارضها كخريطة لبنان البارزة · وسقفها كالجو المرصع بالغيوم · وجدرانها كجذوع الصنوبر مرشقبة · وقد زينها العنكبوت بكرناش من الحرير · ونقشت الجرذان في زواياها المحاريب وبنت السنونو أوكارها فوق الشبابيك · فاقام القسيس فيها ورفاقه هوءلاء الاطهار معتزلاً الناس · الا انه كان يذهب الى طبريا باكراً ليقدس في احدى كنائسها ويعود الى بيته الكثير السكان فيقضي معظم وقته بالمطالعة والكتابة والصلاة · مناجياً السنونو والعنكبوت والجرذان · وفي ذات يوم هبَّ الهواء ناقماً عليه فبعثر اوراقه وخطف واحدةً من بنات افكاره فوقعت في الطريق فعثر «الاعرابي» بها وهو سائر الى طبريا وقرأ فيها ما يلي —

« وبعد ان جلس المعلم عَلَى كرسيه امام تلاميذه سألهم قائلاً -- ما هي الحياة ؟

وقال السنونو — الحياة فراش من القش يتخاصم فيه الذكر والانثى

فقالت الرتيلاء — الحياة كفن من الحرير أحوكه لنفسي

فيكسران بيضات العش ·

وقال الجرذون — الحياة بضعة لحم منتنة · وفخ مخلع · وقط جائع

فقال المعلم في نفسه · وكذلك في الناس · كل ينظر الى الحياة من بيته · من عشه · من جحره ؛ فيبني رأيه عَلَى تجاربه الصغيرة المحدودة · نتيجة ذلك الفوضى · اما الحقيقة فهي في جانب من ينظر الى الحياة من السماء · من فوق الارض وسائر الاكوان · فالدين اذاً منزلاً كان ام لا هو احسن في الاقل من فلسفة العنكبوت والجرذان »

ثم قرأ عَلَى الجهة التالية من هذه الورقة ما يلي —

« كلما فكرت بالماضي ماضي حياتي ينقبض قلبي · اجمل الاسرار الدينية كلها وانفعها سر الاعتراف · فهو مرهم لجروح النفس — لولاك يا ربي لمن يعترف المجرم الاثيم »

فطوى الرجل الورقة ووضعها في جيبه وسار في طريقه الى البلد يفكر بما حوته من الحكمة · ومن الصدف ان هذا الرجل جاء تلك الناحية لما كان القسيس هناك ولكنه لم يقم عند الحمامات · ولم يكن قصده الاستحمام · فعلى شاطئ البحيرة بين طبريا وسمخ بيوت حقيرة شبه اكواخ منفرد بعضها عن بعض يستطيع المرء ان يقيم في احدها بعيداً عن الناس وقريباً من البلد · وهذا الغريب استأجر كوخاً في سفح الجبل الى الجهة الجنوبية من قبور هناك لبعض علماء التلمود بين الحمامات وسن النبرا · وكان المقيمون في الحمامات والعمال يراقبونه ويرجمون بالغيب في امره · ومن طبع الناس انهم لا يستطيعون ان يجاوروا سراً دون ان يمنحوه اسماً ويحيكوا له من عنكبوت ظنونهم ثوباً وقصداً · فلقبوا الرجل « بابي السلة » لانه لم يُر

مرة ماراً بلاها وقالوا — جآء لا شك يتجسس للغربان . ولكن محموداً البحري رآه يكلم امرأة في تلحوم عرفته وسلكت قدامه مسلك الخادمة قدام سيدها .

وفي ذات يوم عاصف ماطر بينا كان القسيس واقفاً عند شباك غرفته يراقب هياج البحيرة أبصر الغريب ماراً في الطريق فدهش دهشة عظيمة واستدعى احمد من ساعته

— أتعرف ذاك الرجل يا احمد

— « ابو السلة » لا يا محترم . هو غريب جآء هذه الناحية منذ اسبوع

— واين يقيم ؟

— لا ادري والله . الا انه يجيء من هذه الجهة — جهة سمخ فيذهب الى البلد .

— وهو ذاهب الى البلد الان ؟

— نعم . اظن ذلك .

— راقبه عندما يرجع خفياً . واتبعه واهتد الى منزله . خفياً أفهمت ؟ وتعال اخبرني . واعطاه بشلكاً . فاخذه احمد وهو يقول — امرك يا محترم محسوبك يا محترم .

اما الغريب فركب ذاك اليوم العربة التي تسير بين طبريا والحمامات ظناً منه انها تقيه في الاقل الاوحال . ولكن عربة السلطان لا تخفف مثل ذا الظن في تلك الطريق وفي مثل ذاك اليوم . فكيف بعربة مخلعة متهدمة .

سجوفها ممزقة . واجزاوءها ملزقة . سقفها كالغربال . وعريشها مربط بالحبال . يجرها ثلاثة من الكدش الجائعة الناحلة المنهوكة . وتقل طابوراً من يهود طبريه . وقنطاراً من الامتعة . وان من يشاهدها عن بعد في مثل ذاك اليوم تسقط . وتعلو . وتكر . وتفر . فتلعب الرياح بخامها الممزق . وترشقها الطريق باوحالها فتختفي تارة في الماء دواليبها . وتارة تغزل في الهواء يظنها قارباً في البحيرة تتقاذفه امواجها الهائجة . ومن سوء الاتفاق لتتم في تلك الساعة ضربات اسرائيل على الغريب كانت الفتاة هيلانة من المسافرين جالسة قباله . فجعلت تغازله برجليها . وترشقه باوحال عينيها فتنشدح عليه اذا غارت العربة . واذا انجدت يهوي عليها . فتجلع فاها مكركرة وهو ساكت صابر وتصيح صيحات يردد صداها اليهود هاذرين هاذين

— روضيه يا هيلانه !

— فارت الطنجرة يا هيلانه !

— ارفعي الغطآء . ارفعيه !

— انزلي الستارة يا هيلانه !

— « رايح فين يا مسليني يا بدر حبك كاويني » .

— سدي الطاقه سديها !

— سدوا « ظيقانكم » يقطع الله اعماركم ! حبيبي حلو ومحتشم اه حبيبي ؟

فنظر اليها الغريب بعين روءوفة وخاطبها بلطف قائلاً — وهل الحشمة

تضرك يا بنتي ؟

-- الحشمة ؟ موء كد ! تقتلني · اذا انا احتشمت اموت من الجوع — وتموت — وسكتت عند هذا منكسة رأسها

— اذا انتِ احتشمت تحيين حياة سعيدة · تنجين من الاجلاف الاشرار وتكتسبين محبة الافاضل من الناس ·

— الافاضل ؟ اين هم الافاضل ؟ في طبريا ؟ اها ها ها ها ! ما رأيت في حياتي كلها رجلاً فاضلاً · ابي قوَّاد الله يبليه ! واخي ديوث الله يعميه ! وكل الرجال مثل ابي واخي

فتجهمها الغريب قائلاً — احتشمي يا بنتي تأدبي قد يكون بيننا الان رجل فاضل

فسكتت هيلانه واطرقت مفكرة · ثم سألها الغريب — وهل امك في قيد الحياة ؟

-- لا تسألني عن امي · امي !

وشرقت الفتاة بريقها واغرورقت عيناها ·

ولما وصلت العربة الى الساحة خارج البلد دفع كل من الركاب نصف بشلك الى الحوذي ودفع الغريب عنه وعن الفتاة · واجتازوا تلك الساحة بل تلك البركة غائصين في اوحالها ومياهها حتى الركاب — وسار الغريب تتبعه هيلانة · وما كادا يدخلان البلد حتى ابصرها البوليس فاعترضها في سبيلها قائلاً ·

— الى الحبس · الى الحبس ·

فصاحت مستجيرة بالغريب -- لا اروح · لا اروح · فتش عن غيري مـا اكثر الغاويات في البلد · فتش عن غيري عرفت حيلتكم · دخيلك يا سيدي خلصني من البوليس · جئت ازور امي · امي مريضة · دخيلك خلصني منه ·

فخاطب الغريب البوليس ونفحه ببعض المال وقال للبنت — امشي يا بنتي · روحي في سبيلك

— كثَّر الله خيرك · الله يطيل بعمرك · انت اول رجل فاضل عرفته

ثم شخصت اليه هنيهة واخذت بطرف عباءته قائلة — تعال معي تعال معي · البيت قريب ·

فسار الغريب واياها يجتازان في اسواق المدينة بل في سواقيها حتى وصلا الى زاروب معتم مسقوف يطفح بروائح يغمى عَلَى الثيران منها ليس فيه غير ابواب مظلمة يكاد بعضها يلتصق ببعض فدخلت الفتاة احد هذه الابواب المفتوحة ودخل الغريب فاذا هما في ساحة موحلة يلعب فيها اولاد عراة تحت الشتاء محاطة بغرف صغيرة عَلَى شكل صحن الدار في احد الاديرة · فوقفت الفتاة قدام باب تقول للغريب — تفضل

فوقف الرجل متردداً ·

— تفضل اعرفك بامي ·

فدخل واذا هو في كوخ مظلم وفي احدى زواياه امرأة مريضة نائمة

على الارض والى جنبها طفل يبكي · فجلست في فراشها وجعلت ترضعه

— هذا كل ما كسبت البارح — واعطت امها بشلكين

— امك نفساء

— امي مريضة بالحمى ولدت منذ اربعة اشهر ولم تزل في الفراش

— واين ابوك

— ابي قواد الله يبليه · تركنا منذ سنتين ·

— وامك ؟ والطفل ؟ فلم تجب الفتاة بل خاطبت امها قائلة

— يا امي هذا الغريب احسن الي وهو اول رجل فاضل عرفته

— وجآء يتفرج عَلَى بليتنا كثر الله خيره رُح في سبيل يا عم — رح في سبيلك ·

فخرج الغريب من البيت واومأ الى هيلانه ان تتبعه · فاعطاها في الخارج بعض المال لتبتاع لامها شيئاً من القوت · والثياب · ثم قال لها — أتعرفين مدرسة اليهود عند الحمامات ؟ والقبور هناك ؟ في تلك الجهة فوق الطريق بيت منفرد ليس هنالك غيره · تعال بعد غد فاكون هناك لي غرض معك · نهارك سعيد ·

— امرك يا سيدي · الله يريك الخير · الله يطيل بعمرك · وراحت الى امها تصفق بيديها وتقول — ليرة يا امي ليرة · صدقيني · صدقيني · انظري بعينك ·

وبسطت كفها امام امها في ذاك الكوخ المظلم فشع فيه قطعة من الذهب ·

فانقطع حليب الام من الدهشة وجعل طفلها يبكي ·

— «حليقة» جيراننا كلهم لا تبلغ ليرة · يا امي اي شيء اشتري لك ؟ اشتري لك لحافاً قبل كل شيء · واشتري فسطاناً للصغير · وفسطاناً لك ايضاً · امي لا تبكي دخيلك · غداً تشفين · وهذا الغريب ارسله الله · هذا الغريب من السماء جاء يفتقد الفقراء البوءساء مثلنا ·

— روحي الى السوق واشتري لي فخذ دجاج وقالب جبن ورغيف خبز

فسارعت هيلانه الى السوق · فابصرت الغريب واقفاً امام دكان يحدث صاحبه ·

— هل عندك غير هذه الدجاجة ؟

— مذبوحة اليوم وحياة الله ! اقطع لك فخذاً ؟

فلم يدرك الغريب معناه · فقال — وهل تبيعون الدجاجة بالدرهم ؟

فقالت هيلانه وقد وقفت الى جانبه

— ومن يقدر ان يشتري دجاجة كاملة عندنا ؟

— اتريد دجاجة كاملة — يا حايم يا حايم رح الى البيت وقل لامك تذبح دجاجة حالاً وهاتها ·

فقال الغريب — بل دجاجتين ·

ولو علم الغريب ان في باريس ايضاً تباع الدجاجة اقساماً فخذاً فخذاً وجانحاً لزال عجبه ·

ثم وقفت عند ذاك الدكان فتاة صبية تحمل طفلاً فقالت — اعطني

قوانص الدجاجة ·

فوزن لها صاحب الدكان القوانص واخذ من الاقذار المتراكمة عند الباب جريدة فلفها فيها وتناول منها متليكين ·

ثم وقفت الفتاة امام رجل جالس في الوحل عَلَى حافة قناة الماء وامامه عَلَى الارض يقطينة قسمها عدة اقسام فابتاعت قطعتين منها واعطته متليكاً واحداً وراحت في سبيلها ·

فقال صاحب الدكان للغريب—هذا يوم عيد عندها فقد قبضت «الحليقة»

— « الحليقة » ? وما هي « الحليقة »

— يا سيدي · اكثر يهود هذه البلد يعيشون عَلَى الحسنات التي تجيئهم من اخوانهم في اوربا وكل بيت يقبض من الحاخام او القنصل قيمة معلومة كل شهر · هذه هي « الحليقة »

ووقفت عندئذٍ امرأة اخرى تحمل طفلاً ويتبعها صبيان فابتاعت فخذي الدجاجة ثم ثلاث قطع من اليقطينة وراحت في سبيلها والولدان يركضان في قناة الاقذار ويصفقان جذلاً

— اولادها كلهم ·

— نعم وقد يكون عندها غيرهم في البيت ·

— ولكنها صبية ·

— صحيح هذا · بناتنا يتزوجن صغيرات وقبل ان يبلغن العشرين يبلغ عدد اولادهن — واشار الرجل بيده كلها

— خمسة —

— وستة احياناً ·

وكان قد عاد الولد اذ ذاك يحمل الدجاجتين فاعطى الغريب هيلانة واحدة منهما ووضع الثانية في سلته

وسار الى سوق الخضر يقول لها اتبعيني · فابتاع هناك شيئاً من الكوسى والبندوره والبصل والثمار واملأ لهيلانة سلة منها وودعها قائلاً — سلمي عَلَى امك · وتعالي بعد غد الى البيت الذي دللتك عليه وبينا هو عائد في طريقه منقبض النفس كسير القلب مما شاهد مرَّ قرب الشاطىء حيث تصب بواليع البلد في البحيرة فرأى هناك النساء يملئن جرارهن من تلك المياه وقد مازجتها اقذار البواليع ·

فمال بوجهه قرفاً وحزناً وسار في طريقه

فاتفق له ان مرَّ ببيت الامرأة التي ابتاعت فخذي الدجاجة وكانت واقفة في الباب فالقى اليها السلام · فسارع اليه اولادها الثلاثة وهم حفاة عراة وعيونهم تحدق في السلة فاعطى كلاً منهم برتقالة فراحوا يصفقون ويرقصون ·

—وهل عندكِ غيرهم ·

— ولد آخر

— وكم عمرك

— ثلاثة وعشرون ·

– وهل تأذنين لي بالدخول ·

– تفضل تفضل ·

فدخل الغريب الى غرفة صغيرة مظلمة مفروشة بحصير واحد وليس فيها من المواعين غير طنجرة وجرة وابريق ··

– وانت وزوجك واولادك تقيمون في هذه الغرفة

– ونشكر الله دائماً · حالتنا احسن من حالة جيراننا · هم عشرة ومنهم شاب مزوج يقيم وامرأته وابنه مع والديه واخوته في بيت مثل بيتنا هذا

فودعها الغريب وراح يجتاز في جادات المدينة الضيقة المظلمة الموحلة النتنة التي تكاد البيوت الى جنبيها تصطدم وتقع بعضها عَلَى بعض فطرقت اذنه رنات العود واصوات المغنين فقال في نفسه — وهم مع ذلك فرحون جذلون · سبحانك اللهم ·

ولم يكن يصل الى منعطف الجادة حتى شاهد في الشارع جماعة بينهم عوّاد وضارب قانون وناقر دف واثنان يحملان طبقاً عليه انواع الحلوى · وهم يعزفون عَلَى آلات الطرب ويغنون · فاستطلع احد التجار خبرهم فقال له — وهل انت من باريس ? ألا تعرف الزفة · عرس يا شيخ العرب عرس · وهذه هدية العريس الى العروس · والليلة يجيئونه بها ·

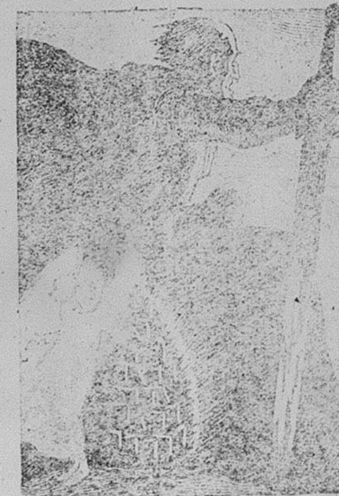
فضحك الغريب ضحكة اليائس وراح يردد في نفسه قائلاً —

يتزوجون ويتكاثرون ويعيشون عَلَى الحسنات · ويقيمون في الاقذار ويشربون مياه بواليعهم · وعندما يبعث الله اليهم باعثاً مطهراً كالطاعون

او الوباء يجيء هؤلاء المحسنون من الافرنج · والادعاء في احسانهم اشد وباء من الطاعون فيحاولون مقاومة العناية الالهية · يبنون الصروح والمستشفيات ليعيش فيها افراد منهم لا رزق لهم في بلادهم فيستثمرون بؤس العباد واقذار البلاد ويعترضون صنع الطبيعة فيحاولون حفظ ما يريد الله استئصاله · وكم مرة جآء الوباء يريح طبريا من شقائها وويلاتها فناهضه هؤلاء الافرنج وردوه خائباً ·



صور فكاهية

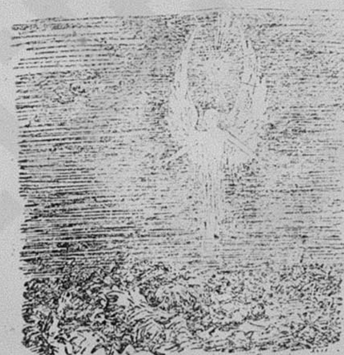


عيد الميلاد في أيام الحرب (صورة المانية)



قدوم المجوس (صورة اسبانية)

الامبراطور ولهلم - ما اقوى هذا الطفل يصلح لتجنيد سنة ١٩٣٧



«لانه ولد لنا ولد واعطي لنا ابن . . . يدعي اسمه رئيس السلام» (اشعيا)

للمصور سيزو في جريدة الصن

الفنون

كانون الثاني

الجزء الثامن

السنـة الثانية

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

DECEMBER 1916

VOL. II NO. 7

Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879